فَتْحُ رَبِّ الْبَرِيَّةِ

شَرْحُ اللَّامِيَّةِ الْمَنْسُوبَةِ

لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ

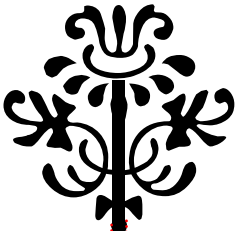

حُقوق الطّبع مَحفُوظة

مكتبة نبشائر الخير
للطباعة والنشر والتوزيع
صنعاء

الجمهورية اليمنية – صنعاء
ذهبان – خلف مستشفى الهلال
جوال / ٠٠٩٦٧٧٧٣٨٨٨٤٣٨
البريد الالكتروني:
Alhijaji10@gmail.com

شرح

أم حفص سيدة بنت عبدالله بن أحمد الحمزي

عفا الله عنها

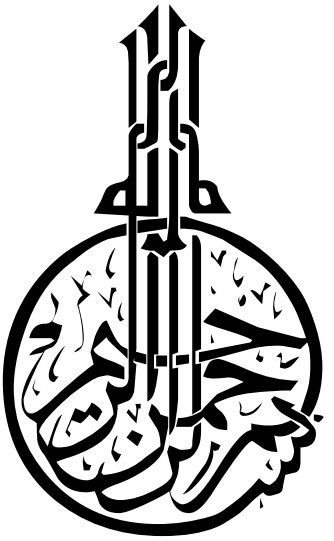

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشيخ الفاضل/ عبد الحميد الحجوري الزعكري حفظه الله تعالى

الحمد رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين.

أما بعد:

فقد طالعت رسالة (**فتح رب البرية شرح اللامية المنسوبة لشيخ الإسلام بن تيمية**) للأخت الداعية إلى الله/ أم حفص سيدة بنت عبد الله الحمزي، فرأيتها قد أجادت وأفادت، فأسأل الله أن ينفع بها وبشرحها لهذه الرسالة الإسلام والمسلمين،

ومن هنا فإني أحث طالبات العلم على الاجتهاد في تحصيله والعمل به والدعوة إليه فإنه سبيل الرفعة والعز في الدنيا والآخرة والحمد لله

أبو محمد عبد الحميد بن يحيى الزعكري

دار الحديث بمسجد الصحابة – الغيضة

١٨/ شوال/ ١٤٤٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أمابعد ..

فهذا شرح مختصر للالامية المنسوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، وهو شرح موجز كنت قد شرحته لطالبات العلم قبل سنوات ، ثم يسر الله بمراجعته هذه الأيام حتى خرج بحلته المتواضعة هذه ، فإن أصبت فمن الله ، فله الحمد والمنة ، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان والله ورسوله منه بريئان.

ويجدر التنبيه هنا على بعض المسائل المهمة :

أولا : اعلم أن الصحابة رضوان الله عليهم قد اختلفوا في بعض الأحكام الشرعية، وهم سادات المؤمنين وأكمل الأمة إيمانا بعد الأنبياء ، ولكنهم رضي الله عنهم لم يختلفوا ولم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال بل كلهم على إثبات ماجاء به القرآن والسنة من غير تحريف ولاتعطيل ولا تكييف ولاتمثيل.

ثانيا : اعلم أنه عند التنازع والخلاف فإننا نحكم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قال تعالى:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[النساء:٦٥].

وقد أجمعت الأمة على أن الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه والرد إلى الرسول ﷺ هو الرد إليه نفسه في حياته وإلى سنته بعد موته ، قال تعالى:﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[النساء:٥٩].

ثالثا : اعلم أن المراد بمذهب السلف هو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون لهم بإحسان من أئمة الدين المشهود لهم بالإيمان والعقيدة السليمة.

رابعا : اعلم أن مذهب السلف هو المذهب المنصور ، وأهله هم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة لايضرهم من خالفهم ولامن خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك.

خامسا : اختلف في نسبة نظم اللامية لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ على قولين :

القول الأول : تصحيح نسبتها إليه ، فأثبت نسبتها إليه العلامة نعمان بن محمود الألوسي في كتابه (جلاء العينين في محاكمة الأحمدين) ، و الشيخ عبدالعزيز بن ناصر الرشيد في (التنبيهات السنية شرح الواسطية).

والمرداوي شرحها في كتاب أسماه (اللآلئ البهية في شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية) ، ولكنه مع ذلك لم يجزم بصحة نسبتها لشيخ الإسلام وإنما قال في المقدمة : (لما وقفت على أبيات عديدة جامعة للمسائل المتفق عليها عند السلف مفيدة حاوية لأمهات مسائل الاعتقاد تنسب لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ)اهـ

ومن الأدلة على هذا :

١ – شهرة هذه النسبة بين أهل العلم ، وتلقيهم لها بالقبول.

٢– وجود المنظومة في مخطوط بين كتب ورسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

٣– كون هذه المنظومة على معتقده رَحِمَهُ اللَّهُ.

والقول الثاني : إنكار نسبتها إليه ، وممن أنكر نسبتها لشيخ الإسلام الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه على (السفارينية) فقال : (الظاهر أنها لا تصح أصلا عن الشيخ)اهـ

والشيخ بكر أبو زيد ؛ حيث ذكرها ضمن الكتب المنحولة على شيخ الإسلام ، في كتاب (المدخل إلى تاريخ شيخ الإسلام).

ومن الأدلة على هذا :

١ – أن أحدا من أهل العلم المتقدمين الذين ترجموا لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ وسردوا أسماء مؤلفاته لم يذكروا هذه المنظومة فيها.

٢- جاء في أحد أبيات المنظومة :

قُبْحاً لِمَنْ نَبَذَ القُرانَ وراءَهُ وإذا اسْتَدَلَّ يقولُ قالَ الأخطَلُ .

وهذا البيت نقله شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كما في مجموع الفتاوى(٢٩٧/ ٦) عازيا إياه لأحد المنشدين ، فقال : (وقد أنشد فيهم المنشد...) وذكر البيت.

فقوله : (وقد أنشد فيهم المنشد) فيه أن قائلها غيره ويحتمل أنه أراد نفسه ، والله أعلم.

٣- ورود لفظ "القديم" في بعض النسخ ، في أحد أبيات المنظومة ؛ وهو قوله :

وأقول في القرآن ما جاءت به آياته فهو القديم المنزل

وهذا ليس على معتقد شيخ الإسلام .

وعلى العموم سواء ثبتت نسبتها لشيخ الإسلام أم لم تثبت فهي على معتقده ومعتقد أهل السنة والجماعة باستثناء ما جاء في بعض النسخ من ورود لفظ "القديم" ، كما سيأتي التنبيه على ذلك إن شاء الله.

أسأل الله عز وجل بمنه وكرمه وإحسانه أن يتقبل مني هذا العمل المتواضع ، وأن ينفع به ويجعله خالصا لوجهه الكريم صوابا ، نافعا لي بين يدي ربي ، وهو حسبي ونعم الوكيل.

كما أسأله سبحانه وتعالى أن يجزي من أعانني على مراجعة هذا العمل خير الجزاء وأوفره وأن يقيه فتنة المحيا والممات وأن يرفع درجته في عليين.

وأسأل الله العظيم الكريم أن يغفر لي ولوالدي ولمن له فضل علي ، وسائر المسلمين ، والحمدلله رب العالمين.

أم حفص سيدة بنت عبدالله بن أحمد الحمزي

الثلاثاء ٢٩/ رمضان/ ١٤٤٢هـ

في مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية حرسها الله وحماها.

ترجمة موجزة لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى :

١ - اسمه ونسبه :

هو شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن العلامة (شهاب الدين أبي المحاسن) عبد الحليم بن (مجد الدين أبي البركات) عبد السلام بن(أبي محمد) عبد الله بن (أبي القاسم) الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني الدمشقي .

قيل لقب بابن تيمية ؛ لأن جده محمداً كانت أمه تسمى (تيمية)، وكانت واعظة، فنسب إليها، وعرف بها.

وقيل: إن جده محمد بن الخضر حج على درب تيماء، فرأى هناك طفلة، فلما رجع وجد امرأته قد ولدت بنتاً له فقال: يا تيمية، يا تيمية، فلقب بذلك.

٢- نشأته :

نشأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عائلة اشتهرت بالعلم والمكانة، فجده مجد الدين عبد السلام بن عبد الله من العلماء الأعلام، صاحب التصانيف النافعة التي منها: "المنتقى من أحاديث الأحكام"، "والمجرد في الفقه" وغيرهما. ووالده شهاب الدين أبو المحاسن شيخ حران وحاكمها وخطيبها بعد وفاة والده مجد الدين. وإخوته ثلاثة، وهم: بدر الدين أبو القاسم محمد بن خالد الحراني، وشقيقاه: زين الدين

عبد الرحمن بن عبد الحليم، وشرف الدين عبد الله بن عبد الحليم، جميعهم اشتهروا بالعلم والفضل.

ففي هذه البيئة العلمية الصالحة كانت نشأة ابن تيمية، وقد بدأ بطلب العلم أولاً على والده وعلماء دمشق، فحفظ القرآن وهو صغير، ودرس الحديث والفقه والأصول والتفسير، وعُرف بالذكاء وقوة الحفظ والنجابة منذ صغره، ثم توسع في دراسة العلوم وتبحر فيها حتى أفتى ودرَّس قبل بلوغ العشرين عاماً، وما لبث أن صار إماماً يعترف له الجهابذة بالعلم والفضل والإمامة، قبل بلوغ الثلاثين من عمره.

٣- محنته :

امتحن شيخ الإسلام ابن تيمية محناً عديدة، ما تكاد تنتهي محنة حتى تبدأ محنة جديدة، إلى أن لقي ربه وهو في سجن القلعة بدمشق.

٤- مؤلفاته :

مؤلفات الشيخ كثيرة يصعب إحصاؤها من أبرزها :

١- الاستقامة: طبع في جزئين.

٢- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، طبع في جزئين.

٣- بيان تلبيس الجهمية ، مطبوع.

٤- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، مطبوع.

٥- درء تعارض العقل والنقل ، مطبوع.

٦- الصفدية ، طبع في جزئين.

٧- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ، طبع في ثمانية أجزاء، وخصص الجزء التاسع منه للفهارس .

٨- الاستغاثة في الرد على البكري ، مطبوع.

٩- قاعدة في التوسل ، مطبوع.

١٠- الرد على الأخنائي ، مطبوع.

١١- النبوات ، مطبوع .

١٢- مجموع الفتاوى ، مطبوع.

وغيرها من الكتب والرسائل المطبوعة ، وهنالك الكثير لا يزال مخطوطاً سواء كان موجوداً أو في عداد المفقود .

٥- وفاته

توفي الشيخ -يرحمه الله- وهو مسجون بسجن القلعة بدمشق ليلة الاثنين ٢٠ من شهر ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ، اثر مرض ألم به أياماً يسيرة.

وقد اعتبر المؤرخون جنازة ابن تيمية من الجنائز المشهورة النادرة، فيشبهونها بجنازة الإمام أحمد بن حنبل. وقد هبَّ كل أهل دمشق ومن حولها للصلاة عليه وتشييع جنازته -رَحِمَهُ اللَّهُ- وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

٦- ثناء أهل العلم عليه :

قال العلامة كمال الدين بن الزملكاني : (كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن، وحكم أن أحداً لا يعرفه مثله، وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك، ولا يعرف أنه ناظر أحداً فانقطع معه ولا تكلم في علم من العلوم، سواء أكان من علوم الشرع أم غيرها إلا فاق فيه أهله، والمنسوبين إليه، وكانت له اليد الطولى في حسن التصنيف، وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين) .

وقال أيضاً فيه: (اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها) .

وقال ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللَّهُ : (لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلاً العلوم كلها بين عينيه، يأخذ منها ما يريد، ويدع ما يريد) .

وقال أبو البقاء السبكي : (والله يا فلان ما يبغض ابن تيمية إلا جاهل أو صاحب هوى، فالجاهل لا يدري ما يقول، وصاحب الهوى يصده هواه عن الحق بعد معرفته به) .

وقال تلميذه الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ : (ابن تيمية: الشيخ الإمام العالم، المفسر، الفقيه، المجتهد، الحافظ، المحدث، شيخ الإسلام، نادرة العصر، ذو التصانيف الباهرة، والذكاء المفرط) .

وقال : (... ونظر في الرجال والعلل، وصار من أئمة النقد، ومن علماء الأثر مع التدين والنبالة، والذكر والصيانة، ثم أقبل على الفقه، ودقائقه، وقواعده، وحججه، والإجماع والاختلاف حتى كان يقضى منه العجب إذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف، ثم يستدل ويرجح ويجتهد، وحق له ذلك فإن شروط الاجتهاد كانت قد اجتمعت فيه، فإنني ما رأيت أحداً أسرع انتزاعاً للآيات الدالة على المسألة التي يوردها منه، ولا أشد استحضاراً لمتون الأحاديث، وعزوها إلى الصحيح أو المسند أو إلى السنن منه، كأن الكتاب والسنن نصب عينيه وعلى طرف لسانه، بعبارة رشيقة، وعين مفتوحة، وإفحام للمخالف...) .

وقال: (... هذا كله مع ما كان عليه من الكرم الذي لم أشاهد مثله قط، والشجاعة المفرطة التي يضرب بها المثل، والفراغ عن ملاذ النفس من اللباس الجميل، والمأكل الطيب، والراحة الدنيوية).[١]

(١) انظر ترجمته في تاريخ ابن الوردي ، والعقود الدرية ، وشذرات الذهب ، وسير أعلام النبلاء

متن اللامية المنسوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى :

١- يَا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي وعَقِيدَتِي ... رُزِقَ الهُدى مَنْ لِلْهِدَايَةِ يَسْأَلُ

٢- اِسْمَعْ كَلَامَ مُحَقِّقٍ فِي قَوْلِهِ ... لا يَنْثَنِي عَنْهُ ولَا يَتَبَدَّلُ

٣- حُبّ الصّحَابَةِ كُلِّهِم لِي مَذهبٌ ... ومَودَةُ القُرْبى بِهَا أَتَوَسّلُ

٤- ولِكُلِّهِمْ قَدْرٌ عَلَا وفضَائِلُ ... لَكِنّمَا الصِّدِّيقُ مِنْهُم أَفْضَلُ

٥- وأَقُولُ فِي القُرْآنِ مَا جَاءَتْ بِهِ ... آيَاتُهُ فَهُو الكَرِيْمُ المُنْزَلُ

٦- وأَقُولُ قَالَ اللهُ جَلّ جَلالُهُ ... والمُصْطَفَى الهَادِي ولَا أَتَأَوّلُ

٧- وَجَمِيْعُ آيَاتِ الصِّفَاتِ أَمِرُّها ... حَقّاً كَمَا نَقَلَ الطِّرَازُ الأَوَّلُ

٨- وأَرُدّ عُهدَتَهَا إِلَى نُقّالِهَا ... وأَصُونُها عَنْ كُلِّ مَا يُتَخَيّلُ

٩- قُبْحاً لِمَنْ نَبَذَ القُرَانَ وَرَاءَهُ ... وإِذَا اسْتَدَلّ يَقُولُ قَالَ الأَخْطَلُ

١٠- والمؤمِنونَ يَرَونَ حقّاً ربّهُم ... وإِلى السّمَاءِ بِغيرِ كَيفٍ يَنْزِلُ

١١- وأُقِرّ المِيزَانِ والحوضِ الذي ... أَرجُو بِأَنّي مِنْهُ رِيّاً أَنْهَلُ

١٢- وكذَا الصّراطُ يُمدّ فوقَ جهنّمٍ ... فَمُسَلّمٌ نَاجٍ وآخَر مُهْمَلُ

١٣- والنّارُ يَصْلاها الشّقيّ بِحِكْمَةٍ ... وكذا التّقيّ إِلى الجِنَانِ سَيَدخُلُ

١٤- ولكلّ حَيٍّ عاقِلٍ فِي قَبرِهِ ... عملٌ يُقارِنُهُ هناك ويُسْأَلُ

١٥- هذا اعتِقَادُ الشّافِعِيّ ومَالِكٍ ... وأبي حَنِيفَةَ ثُمّ أَحْمَدَ يُنْقَلُ

١٦- فإِنِ اتّبَعْتَ سبيلَهُم فَمُوفّقٌ ... وإِنِ ابتَدعتَ فمَا عَلَيكَ مُعَوّلُ

شرح المنظومة

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى :

١- يَا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي وعَقِيدَتِي رُزِقَ الهُدى مَنْ لِلْهِدَايَةِ يَسْأَلُ

٢- اِسْمَعْ كَلَامَ مُحَقِّقٍ فِي قَوْلِهِ لا يَنْثَنِي عَنْهُ ولَا يَتَبَدّلُ

٣- حُبّ الصّحَابَةِ كُلِّهِم لِي مَذهبٌ ومَودَةُ القُرْبى بِهَا أَتَوَسّلُ

الشَّرْحُ

(يا سائلي) : ياء: حرف نداء.

سائلي: منادى ، والسؤال هنا سؤال هداية واسترشاد لا سؤال تعنت وعناد.

(عن مذهبي): طريقتي فلم يرد المذاهب المعروفة، قال ابن منظور في لسان العرب مادة(ذهب) : (والمذهب: المعتقد الذي يذهب إليه) . اهـ

أما مذهب شيخ الإسلام الفقهي فهو: المذهب الحنبلي لكن من غير تقليد ولا تعصب ، بل كثيرا ما يتجرد للدليل مخالفا مذهبه ، ومن نظر في كتبه رَحِمَهُ اللَّهُ رأى ذلك واضحاً جليّا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في ذم التعصب وأهله كما في مجموع الفتاوى : (ومن تعصَّب لواحدٍ بعينه من الأئمَّة دون الباقين، فهو بِمَنْزلة مَن تعصَّب لواحدٍ بعينه من الصحابة دون الباقين، كالرافضيِّ الذي يتعصَّب لعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دون الخلفاء الثلاثة، وجمهور الصحابة رضوان الله عليهم، وكالخارجيِّ الذي يَقْدح في عثمانَ وعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فهذه

طرق أهل البدع والأهواء الذين ثبت بالكتاب والسُّنة والإجماعِ أنَّهم مذمومون خارجون عن الشَّريعة والمنهاج الذي بعث الله به رسولَه، فمن تعصَّب لواحدٍ من الأئمة بعينه ففيه شَبهٌ من هؤلاء، سواءٌ تعصَّب لمالكٍ أو الشافعي أو أبي حنيفة أو أحمد، أو غيرهم..)اهـ(١)

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ : (أما وجوب اتِّباع القائل في كل ما يقوله من غير ذِكْر دليل يدلُّ على صحة ما يقول فليس بصحيح، بل هذه المرتبة هي مرتبة الرَّسول التي لا تصلح إلا له)اهـ(٢)

(وعقيدتي) : العقيدة لغة: مصدر مِن اعتَقَد يعتقدُ اعتقادًا وعقيدة، مأخوذٌ من العَقد، وهو: الرَّبط ، والإبرام ، والإحكام ، والتوثق ، والشدُّ بقوَّة ، والتماسك ، والإثبات ، ومنه اليقين والجزم.

والعقيدة في الاصطلاح: هي ما ينعَقِدُ عليه قلبُ المرء ويجزمُ به ويتَّخذه دينًا ومَذهبًا؛ بحيث لا يتطرَّق إليه الشكُّ فيه، فهي حُكم الذهن الجازم ، يقال: اعتقدت كذا ، يعني : جزمت به ، فإن طابق الواقع فصحيح وإن خالفه ففاسد.

---

(١) مجموع الفتاوى(٢٢/ ٢٥٢)

(٢) مجموع الفتاوى(٣٥/ ١٢١)

فاعتقادنا أن الله إله واحد صحيح ، واعتقاد النصارى أن الله ثالث ثلاثة باطل ؛ لأنه مخالف للواقع.(١)

الفرق بين العقيدة والتوحيد :

التوحيد يتعلق بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات. فهو: إفراد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

والعقيدة أعم من ذلك فتتناول توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات ، والإيمان بوجود الملائكة ، والصراط ، والميزان ، والحوض ، والكوثر ، والجنة والنار ، والإيمان بالقدر، وغير ذلك مما هو مبسوط في كتب العقيدة وهذه المنظومة نموذج يسير من ذلك.

(رُزِق الهدى) : رزق بالفعل مغير الصيغة(المبني للمجهول) ، والرزق له معاني كثيرة فيقال للعطاء الجاري دنيويا أو أخرويا ، وللنصيب ، ولما يصل إلى الجوف ويتغذى به ونحو ذلك. ذكر ذلك الراغب في المفردات(٣٥١).

وأعظم رزق هو رزق الهداية ، وهذا الذي أراده الناظم بقوله(رزق الهدى).

(من للهداية يسأل) : أشار رَحِمَهُ اللَّهُ هنا إلى أن الهداية لها أسباب ، كما أن الرزق له أسباب.

---

(١) انظر شرح الواسطية لابن عثيمين(١/ ٥٠)

ومن أسباب الهداية السؤال والتماسها وأن ينهج نهج رسول الله ﷺ وصحابته الكرام ، فيكون سائلا عنها بالعلم الشرعي والتجرد للحق وسؤال أهل العلم الراسخين ، فإنه إن سلك هذا الطريق رزق الهداية.

والهداية في الأصل، هي : الإرشاد والدلالة على ما يوصل إلى المطلوب.

وتستعمل غالبا للدلالة بلطف ومنه الهدية.

وحقيقة الهداية : العلم بالحق، والرغبة فيه.

وهي أنواع :

١ – **الهداية العامة** : وهي هداية لجميع الخلق، وهي المرادة في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ٥٠﴾[طه: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ٣﴾[الأعلى:١-٣].

٢– **هداية الدلالة والإرشاد** : وهي تعريف بطريق الخير وطريق الشر.

وهذه هي الثابتة لرسول الله ﷺ وللعلماء الراسخين ، قال تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾[الشورى: ٥٢].

وقال تعالى : ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا﴾[السجدة:٢٤].

٣- **هداية التوفيق والسداد** : وهذه الهداية لله وحده فلا يقدر عليها إلا الله.

قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾[المائدة:١٥،١٦].

وهذه التي نفاها الله عن نبيه ﷺ ؛ فقال عز وجل : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾[القصص: ٥٦].

و قال : ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[البقرة: ٢٧٢].

٤- الهداية في الآخرة إلى الجنة : قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾﴾[يونس: ٩].

ويقولون : ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣].

وأما هداية الكفار إلى النار ، كما في قوله تعالى : ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ [الصافات: ٢٣].

فيطلق عليها هداية لغة من باب التهكم مبالغة في المعنى.(١)

---

(١) انظر المفردات للراغب(٥٣٨)

(اسمع) : فعل أمر ، والمراد هنا: الاستماع لا مجرد السماع ؛ فالسماع قد يكون عن غير قصد ، وقد يستفيد السامع ، وقد لا يستفيد ؛ أما الاستماع فهو السماع المقصود للإستفادة ، وهذا هو الذي يفيد السامع.

(كلام محقق) : أي كلام متثبت مما يقول معتمد على أصل من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ ،

فهو محقق في دينه لا يعتريه شك ولا رجوع عما اعتقده.

وفيه : ثناء الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ على نفسه بما هو حاصل ؛ لقصد ارشاد السامع أن يستفيد من هذا الكلام المحقق ، وهذا يجوز إذا لم يكن بقصد المفاخرة والعجب ،

قال تعالى عن يوسف:﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥﴾[يوسف:٥٥].

وفي البخاري معلقا ، ووصله الدارقطني والإسماعيلي كما في الفتح : (أَنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ حُوصِرَ، أَشْرَفَ عليهم وقالَ: أَنْشُدُكُمُ الله، ولَا أَنْشُدُ إِلَّا أَصْحَابَ النبيِّ ﷺ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسولَ الله ﷺ قالَ: مَن حَفَرَ رُومَةَ فَلَهُ الجَنَّةُ، فَحَفَرْتُهَا؟ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ قالَ: مَن جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّةُ، فَجَهَّزْتُهُمْ؟ قالَ: فَصَدَّقُوهُ بما قالَ).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : (وفي هذا الحديث من الفوائد مناقب ظاهرة لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وفيه جواز تحدث الرجل بمناقبه عند الاحتياج إلى ذلك ، لدفع مضرة أو تحصيل منفعة ، وإنما يكره ذلك عند المفاخرة والمكاثرة والعجب)اهـ(١)

وفي مسلم عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١]، ثُمَّ قالَ: علَى قِرَاءَةِ مَن تَأْمُرُونِي أَنْ أَقْرَأَ؟ فَلقَدْ قَرَأْتُ علَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً، وَلقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنِّي أَعْلَمُهُمْ بكِتَابِ اللهِ، ولو أَعْلَمُ أنَّ أَحَدًا أَعْلَمُ مِنِّي لَرَحَلْتُ إلَيْهِ.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ : (وفي هذا الحديث جواز ذكر الإنسان نفسه بالفضيلة والعلم ونحوه للحاجة ، وأما النهي عن تزكية النفس فإنما هو لمن زكاها ومدحها لغير حاجة ، بل للفخر والإعجاب ، وقد كثرت تزكية النفس من الأماثل عند الحاجة كدفع شر عنه بذلك أو تحصيل مصلحة للناس أو ترغيب في أخذ العلم عنه أو نحو ذلك ، فمن المصلحة قول يوسف: "اجعلني على خزائن الأرض" ، ومن دفع الشر : قول عثمان في وقت حصاره إنه جهز جيش العسرة وحفر بئر رومة ،

---

(١) الفتح(٥/ ٣٠٦)

ومن الترغيب قول ابن مسعود هذا وقول سهل بن سعد : ما بقي أحد أعلم بذلك مني .وقول غيره: على الخبير سقطت وأشباهه)اهـ(١)

وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ عند شرح قول النبي ﷺ لما صدر من حنين وهو يريد الجعرانة: «**والذي نفسي بيده لو أفاء الله عليكم مثل سمر تهامة نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدونني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً**» قال: (وفيه جواز مدح الرجل الفاضل الجليل لنفسه، ونفيه عن نفسه ما يعيبه بالحق الذي هو فيه وعليه إذا دفعت إلى ذلك ضرورة أو معنى يوجب ذلك، فلا بأس بذلك)اهـ(٢)

(في قوله) : متعلق بمحقق.

والقول له اطلاقات والمراد به هنا الاعتقاد.

(لا ينثني عنه) : أي لا يرجع عنه ولا يميل.

(ولا يتبدل) : أي لا يتبدل به غيره، فلا يستبدل مذهب السلف بغيره.

وهذا يدل على بصيرته ورسوخه وثباته رَحِمَهُ اللَّهُ.

---

(١) شرح مسلم للنووي(٢٤٦٢)

(٢) التمهيد(٢٠/ ٣٩)

قال ابن طاهر سمعته - يعني شيخ الإسلام الهروي - يقول : (عرضت على السيف خمس مرات لا يقال لي: ارجع عن مذهبك. لكن يقال لي: اسكت عمن خالفك فأقول: لا أسكت).(١)

وجاء رجل من أهل الأهواء إلى الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ فقال له : أريد أن أناظرك. قال له: فإن غلبتني. قال: تتبعني. قال: فإن غلبتك؟ قال: أتبعك.

قال مالك: يكون ديننا عرضة للتنقل ، أنا على بصيرة من ديني ، اذهب إلى شاك مثلك فخاصمه.

رواه أبو نعيم في الحلية برقم(١٣٦٧٩) ، وابن بطة في الإبانة الكبرى برقم(٥٨٣).

(حب الصحابة كلهم لي مذهب) : أي أن حُبّ صحابة رسول الله ﷺ جميعا هو معتقده ومذهبه.

والصحابي : هو من لقي النبي ﷺ مؤمنا به ومات على ذلك وإن تخللته ردة.

وهنا شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ يقرر عقيدة أهل السنة والجماعة في وجوب محبة أصحاب رسول الله ﷺ جميعا.

---

(١) نزهة الفضلاء(٣/ ١٣١٤)

قال الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ :(ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم ، ولا نذكرهم إلا بخير وحبهم دين وإيمان وإحسان ، وبغضهم كفر ونفاق ، وطغيان)اهـ(١)

وقال أبو عبد الله بن بطة وهو يعرض عقيدة أهل السنة والجماعة : (ونحب جميع أصحاب رسول الله ﷺ على مراتبهم ومنازلهم أولاً فأولاً: من أهل بدر والحديبية وبيعة الرضوان وأحد فهؤلاء أهل الفضائل الشريفة والمنازل المنيفة الذين سبقت لهم السوابق رحمهم الله أجمعين)اهـ(٢)

فحب الصحابة دين ندين الله به فهم حملة هذا الدين.

قال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾[الحشر: ١٠].

ففي هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة رضوان الله عليهم جميعا ؛ لأنه جعل لمن بعدهم حظاً في الفيء ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم، وأن من سبهم أو واحداً منهم أو اعتقد فيه شراً أنه لا حق له في الفيء، روي ذلك

---

(١) شرح الطحاوية(ص٤٦٧)

(٢) الإبانة(ص٢٧١)

عن مالك وغيره، قال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ : (من كان يبغض أحداً من أصحاب محمد ﷺ أو كان في قلبه عليهم غل فليس له حق في فيء المسلمين، ثم قرأ ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ..﴾ الآية.(١)

وقد رضي الله عنهم وأثنى عليهم في كتابه الكريم قال تعالى:﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾[التوبة:١٠٠].

قال الحافظ ابن كثير عند تفسير هذه الآية : (يخبر تعالى عن رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ، ورضاهم عنه بما أعد لهم من جنات النعيم ، والنعيم المقيم)اهـ

وقال تعالى: ﴿۞ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ١٨﴾[الفتح:١٨].

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي(٤/ ١٧٧٨) ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(١٨/ ٣٢)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٦/ ٦٠٩)

وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾[الفتح:٢٩].

وغيرها من الآيات التي فيها الثناء العظيم من الله عزوجل على أصحاب رسول الله ﷺ.

وفي الصحيحين عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:«**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي،ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ،ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»

قال النووي رحمه الله : (اتفق العلماء على أن خير القرون قرنه ﷺ والمراد أصحابه)اهـ(١)

وفي مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ ما تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي ما يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي ما يُوعَدُونَ**».

---

(١) شرح مسلم للنووي(٢٥٣٣)

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ :" ومعنى الحديث أن النجوم ما دامت باقية فالسماء باقية فإذا انكدرت النجوم وتناثرت في القيامة وهنت السماء فانفطرت وانشقت وذهبت.

وقوله ﷺ «**وأنا أمنة لأصحابي فاذا ذهبت أتى اصحابي ما يوعدون**» أي من الفتن والحروب وارتداد من ارتد من الأعراب واختلاف القلوب ونحو ذلك مما أنذر به صريحا ، وقد وقع كل ذلك.

وقوله ﷺ « **وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون** » معناه من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه وطلوع قرن الشيطان وظهور الروم وغيرهم عليهم وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك وهذه كلها من معجزاته ﷺ"اهـ(١)

وقال أبو حاتم محمد بن حبان البستي مبيناً معنى هذا الحديث: (ويشبه أن يكون معنى هذا الخبر أن الله ـ جل وعلا ـ جعل النجوم علامة لبقاء السماء وأمنة لها عن الفناء فإذا غارت واضمحلت أتى السماء الفناء الذي كتب عليها وجعل الله ـ جل وعلا ـ المصطفى أمنة أصحابه من وقوع الفتن فلما قبضه الله ـ جل وعلا ـ إلى جنته أتى أصحابه الفتن التي أوعدوا وجعل الله أصحابه أمنة أمته من ظهور

---

(١) شرح مسلم للنووي(٢٥٣١)

الجور فيها، فإذا مضى أصحابه أتاهم ما يوعدون من ظهور غير الحق من الجور والأباطيل)أهـ(١)

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**حُبُّ الأنصارِ آيةُ الإيمانِ ، و بُغضُ الأنصارِ آيةُ المنافقِ**».

فحب الأنصار وجميع الصحابة رضوان الله عليهم علامة واضحة للإيمان ، وبغضهم علامة النفاق والعياذ بالله.

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :« **لا تَسُبُّوا أصْحابِي، فلوْ أنَّ أحَدَكُمْ أنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا ما بَلَغَ مُدَّ أحَدِهِمْ، ولا نَصِيفَهُ**».

وروى الطبراني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ**». والحديث في السلسلة الصحيحة للألباني رحمه الله(٢٣٤٠).

وفي هذا الوعيد الشديد على من سبّ أصحاب رسول الله ﷺ رضي الله عنهم جميعا.

والأحاديث الثابتة في الثناء على صحابة رسول الله ﷺ وبيان فضلهم رضوان الله عليهم جميعا كثيرة نكتفي منها بما تقدم.

---

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان(٩/ ١٨٦)

(لي مذهب) : أي هو مذهبي الذي أذهب إليه ، وأعول في الاعتقاد عليه ، وهذا هو مذهب أهل السنة قاطبة في مشارق الأرض ومغاربها ، في كل زمان ومكان ، وهو المذهب الحق القويم.

(ومودة القربى بها أتوسل) : المودة : من الود ؛ وهو خالص الحب وألطفه وأرقه. ذكر هذا ابن القيم في روضة المحبين(١/ ٤٦).

والقربى: هم قرابته ﷺ ، وهم أهل بيته.

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن معنى قوله تعالى : ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[الشورى:٢٣] ، أي إلا أن تودوا أقاربي.

وهذا التفسير ليس ببعيد ، ولكن الأقرب منه ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية قال: (كان لرسول الله ﷺ قرابة في جميع قريش، فلما كذبوه وأبوْا أن يبايعوه قال: يا قوم، إذا أبيتُم أن تبايعوني، فاحفظوا قرابتي فيكم، لا يكن غيرُكم من العرب أَولَى بحفظي ونُصرتي منكم). رواه ابن جرير في تفسيره(٢٠/ ٤٩٥).

وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله: ﴿إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾، فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد ﷺ، فقال ابن عباس: عجلت، إن النبي

ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال: «**إلا أن تصِلوا ما بيني وبينكم من القرابة**».

وعن قتادة قال: "كل قريش كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ قرابة، فقال: قل: «**لا أسألكم عليه أجرًا إلا أن تودوني بالقرابة التي بيني وبينكم**»". رواه ابن جرير في تفسيره(٢٠/ ٤٩٨).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (الحق تفسير الآية بما فسَّرها به الإمام حبرُ الأمة، وترجمان القرآن، عبدالله بن عباس؛ كما رواه عنه البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ، ولا تنكر الوصاة بأهل البيت، والأمر بالإحسان إليهم، واحترامهم وإكرامهم، فإنهم من ذريَّة طاهرة، من أشرف بيتٍ وُجِد على وجه الأرض، فخرًا وحسبًا ونسبًا، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية، كما كان عليه سلفهم، كالعباس وبنيه، وعلي وأهل بيته وذريته، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين)اهـ(١)

واختلف أهل العلم في تعريف الآل.

فقيل: هم أتباعه على دينه إلى يوم القيامة.

وقيل: إنهم من تحرم عليهم الصدقة ونسب هذا القول للجمهور ، وصححه ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ.

---

(١) تفسير ابن كثير(٧/ ٢٠١)

وقيل: إنهم خصوص ذريته وأزواجه.

وجمع بعض أهل العلم بين هذه الأقوال: بأنه إذا أفرد الآل عن الأتباع فالمعنى: الأتباع ، وإن أتبع الآل بالأتباع فالآل خصوص من تحرم عليهم الصدقة ، والله أعلم.

وآل النبي ﷺ الذين تحرم عليهم الصدقة هم بنوهاشم فقط ، وهم: آل علي ، وآل العباس ، وآل جعفر ، وآل عقيل ، وآل الحارث بن عبدالمطلب.

وقد ورد ذكرهم في حديث زيد بن أرقم عند مسلم وفيه: «... **وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي**» فقال له حصين: ومن أهل بيته يازيد أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده.

قال: ومن هم؟ ، قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس.

قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ ، قال: نعم).

وآل البيت الذين هم على استقامة واتباع للسنة لهم منزلة عظيمة ومكانة رفيعة ، أما من كان على خلاف ذلك ؛ فإن نسبه وقربه من رسول الله ﷺ لا يغني عنه شيئا ، قال تعالى عن نوح وابنه: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ ..﴾ الآية[هود:٤٦].

وقال تعالى عن امرأة نوح وامرأة لوط: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠﴾[التحريم:١٠].

وقال تعالى :﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١﴾[المؤمنون:١٠١].

وفي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «**وَمَن بَطَّأَ به عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ به نَسَبُهُ**».

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَامَ رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم حِينَ أنْزَلَ الله: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ قالَ: «**يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - أوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أنْفُسَكُمْ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شيئًا، يا بَنِي عبدِ مَنَافٍ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شيئًا، يا عَبَّاسُ بنَ عبدِ المُطَّلِبِ لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شيئًا، ويَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسولِ اللهِ لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شيئًا، ويَا فَاطِمَةُ بنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي ما شِئْتِ مِن مَالِي لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شيئًا**».

(بها أتوسل) : أي أتقرب إلى الله بحبهم.

قال ابن منظور في لسان العرب: (الوسيلة المنزلة عند الملك ، والوسيلة الدرجة ، والوسيلة القربة ، ووسل فلان إلى الله وسيلة إذا عمل عملا تقرب به إليه والواسل الراغب إلى الله قال لبيد:

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم بلى كل ذي رأي إلى الله واسل

وتوسل إليه بوسيلة إذا تقرب إليه بعمل وتوسل إليه بكذا تقرب إليه)اهـ

فتوسل الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ هنا بعمل صالح وهو محبة قرابة رسول الله ﷺ وهذا مشروع ؛ لحديث الثلاثة الذين أغلق عليهم باب الغار بصخرة عظيمة ؛ فتوسل أحدهم ببره لوالديه ، وتوسل الآخر بعفته عن الوقوع في الفاحشة ، وتوسل الثالث بأمانته وتنمية المال لصاحبه ، والحديث في الصحيحين.

وفي هذا البيت رد الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ على طائفتين ضالتين: على الروافض الذين يبغضون صحابة رسول الله ﷺ ويطعنون فيهم ، وعلى النواصب الذين ينصبون العداء لآل البيت ويقدحون فيهم.

وأهل السنة وسط بين هاتين الطائفتين فهم يحبون صحابة رسول الله ﷺ جميعا ، ويحبون آل بيت رسول الله ﷺ محبة شرعية بلا غلو ولا اجحاف ، ويتبرؤون من طريقة الروافض والنواصب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: (ويتبرؤون-أي أهل السنة- من طريقة الروافض والشيعة الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم، وطريقة النواصب والخوارج الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل)اهـ[١]

---

(١) العقيدة الواسطية مع شرحها للهراس(ص١٧٣)

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ :

٤- ولِكُلِّــهِمْ قَدْرٌ عَلَا وفضَــائــلُ لَكِــنَّمَا الصِّــدِّيقُ مــنْهُم أفْضَــلُ

الشَّرْحُ

(ولكلهم) : أي لجميع الصحابة رضي الله عنهم ، ويدخل في هذا صحابة رسول الله ﷺ من ذوي قرابته.

(قدر علا) : أي سما وارتفع.

(وفضائل) : الفضائل جمع فضيلة ، والفضيلة : هي الدرجة الرفيعة في حسن الخلق.

وفضيلة الشيء مزيته أو وظيفته التي قصدت منه.

(لكنما الصديق) : يعني أبابكر رضي الله عنه واسمه عبدالله بن عثمان.

(منهم) : أي من جملة الصحابة.

(أفضل) : أي أفضل من غيره بالإجماع.

وترتيبهم في الفضل : أبوبكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، رضي الله عنهم جميعا.

وقد انعقد إجماع العلماء من أهل السنة على تفضيل الأربعة إجمالا ، وأجمعوا على تقديم أبي بكر ثم عمر ، واختلفوا في تقديم عليٍّ على عثمان ، وجمهورهم على تقديم عثمان رضي الله عنهم جميعا.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ : (قال الإمام أبو عبدالله المازري: اختلف الناس في تفضيل بعض الصحابة على بعض ، فقالت طائفة: لا نفاضل ، بل نمسك عن ذلك ، وقال الجمهور: بالتفضيل ، ثم اختلفوا فقال أهل السنة : أفضلهم أبوبكر الصديق وقال الخطابية: أفضلهم عمر بن الخطاب.

وقالت الراوندية: أفضلهم العباس. وقالت الشيعة: علي. واتفق أهل السنة على أن أفضلهم أبوبكر ثم عمر ، قال جمهورهم: ثم عثمان ، ثم علي. وقال بعض أهل السنة من أهل الكوفة. بتقديم علي على عثمان ، والصحيح المشهور تقديم عثمان.

قال أبو منصور البغدادي : أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة على الترتيب المذكور ، ثم تمام العشرة، ثم أهل بدر ، ثم أحد ، ثم بيعة الرضوان)اهـ(١)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : (وحكى مالكٌ إجماع أهل المدينة على ذلك، فقال: ما أدركت أحدًا ممن أقتدي به يشكُّ في تقديم أبي بكر وعمر. وهذا مستفيضٌ عن أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب)اهـ(٢)

بعض فضائل الصديق في القرآن والسنة :

---

(١) شرح مسلم للنووي(١٥/ ١٤٨)

(٢) مجموع الفتاوى(٤/ ٤٢١)

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾[التوبة:٤٠].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ : (قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾...قال النقاش: هذه أول آية نزلت من سورة براءة. والمعنى: إن تركتم نصره فالله متكفل به ، إذ قد نصره الله في مواطن القلة وأظهره على عدوه بالغلبة والعزة.

وقيل: فقد نصره الله بصاحبه في الغار...

قال الليث بن سعد : ما صحب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مثل أبي بكر الصديق.

ثم قال: وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ هذه الآية تضمنت فضائل الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: في قوله تعالى :﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ ما يدل على أن الخليفة بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أبوبكر الصديق لأن الخليفة لا يكون أبدا إلا ثانيا.

ثم قال : والذي يقطع به من الكتاب والسنة وأقوال علماء الأمة ويجب أن تؤمن به القلوب والأفئدة ، فضل الصديق على جميع الصحابة...)اهـ المراد. (١)

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : خَطَبَ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم فَقالَ: «**إنَّ اللهَ خَيَّرَ عَبْدًا بيْنَ الدُّنْيَا وبيْنَ ما عِنْدَهُ فَاخْتَارَ ما عِنْدَ الله**»، فَبَكَى أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه، فَقُلتُ في نَفْسِي ما يُبْكِي هذا الشَّيْخَ؟ إنْ يَكُنِ الله خَيَّرَ عَبْدًا بيْنَ الدُّنْيَا وبيْنَ ما عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ ما عِنْدَ الله، فَكانَ رَسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم هو العَبْدَ، وكانَ أبو بَكْرٍ أعْلَمَنَا، قالَ: «**يا أبَا بَكْرٍ لا تَبْكِ، إنَّ أمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ في صُحْبَتِهِ ومَالِهِ أبو بَكْرٍ، ولو كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِن أُمَّتي لَاتَّخَذْتُ أبَا بَكْرٍ، ولَكِنْ أُخُوَّةُ الإسْلَامِ ومَوَدَّتُهُ، لا يَبْقَيَنَّ في المَسْجِدِ بَابٌ إلَّا سُدَّ، إلَّا بَابُ أبي بَكْرٍ**».

وفي البخاري عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم، بَعَثَهُ علَى جَيْشِ ذَاتِ السُّلَاسِلِ، فأتَيْتُهُ فَقُلتُ: أيُّ النَّاسِ أحَبُّ إلَيْكَ؟ قَالَ: «**عَائِشَةُ**»، فَقُلتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «**أبُوهَا**»، قُلتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ**»، فَعَدَّ رِجَالًا.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رَسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم، قالَ: «**مَن أنْفَقَ زَوْجَيْنِ في سَبيلِ الله، نُودِيَ مِن أبْوَابِ الجَنَّةِ: يا عَبْدَ الله هذا خَيْرٌ، فمَن كانَ مِن أهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِن بَابِ الصَّلَاةِ، ومَن كانَ مِن أهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِن بَابِ الجِهَادِ،**

---

(١) الجامع لأحكام القرآن(٨ / ١٤٣-١٤٨)

ومَن كانَ مِن أهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِن بَابِ الرَّيَّانِ، ومَن كانَ مِن أهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِن بَابِ الصَّدَقَةِ»، فَقالَ أبو بَكْرٍ رضي الله عنه: بأَبِي أنْتَ وأُمِّي يا رَسولَ الله ما علَى مَن دُعِيَ مِن تِلكَ الأبْوَابِ مِن ضَرُورَةٍ، فَهلْ يُدْعَى أحَدٌ مِن تِلكَ الأبْوَابِ كُلِّهَا؟، قالَ: «**نَعَمْ وأَرْجُو أنْ تَكُونَ منهمْ**».

وفي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن أصْبَحَ مِنْكُمُ اليومَ صائِمًا؟**»، قالَ أبو بَكْرٍ: أنا، قالَ: (**فمَن تَبِعَ مِنْكُمُ اليومَ جِنازَةً؟**)، قالَ أبو بَكْرٍ: أنا، قالَ: «**فمَن أطْعَمَ مِنكُمُ اليومَ مِسْكِينًا؟**»، قالَ أبو بَكْرٍ: أنا، قالَ: «**فمَن عادَ مِنْكُمُ اليومَ مَرِيضًا؟**»، قالَ أبو بَكْرٍ: أنا، فقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «**ما اجْتَمَعْنَ في امْرِئٍ إلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ**».

وقد دلت الأدلة على خلافة أبي بكر رضي الله عنه بعد رسول الله ﷺ نصا ومن ذلك :

قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾[الفاتحة: ٦-٧].

ووجه الدلالة أن أبا بكر رضي الله عنه داخل فيمن أمر الله عباده أن يسألوه أن يهديهم طريقهم وأن يسلك بهم سبيلهم وهم الذين أنعم الله عليهم وذكر منهم الصديقين في قوله تعالى : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ۝٦٩﴾ الآية[النساء:٦٩]

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ : (يؤخذ من هذه الآية الكريمة صحة إمامة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأنه داخل فيمن أمرنا الله في السبع المثاني والقرآن العظيم -أعني الفاتحة- بأن نسأله أن يهدينا صراطهم فدل على أن صراطهم هو الصراط المستقيم وذلك في قوله: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾[الفاتحة: ٦-٧]، وقد بين الذين أنعم عليهم فعد منهم الصديقين ، وقد بين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الصديقين ؛ فاتضح أنه داخل في الذين أنعم الله عليهم الذين أمرنا الله أن نسأله الهداية إلى صراطهم ، فلم يبق لبس في أن أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الصراط المستقيم ، وأن إمامته حق)اهـ(١)

وفي الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قالَ لي رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: في مَرَضِهِ «**ادْعِي لي أَبَا بَكْرٍ، أَبَاكِ، وَأَخَاكِ، حتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا، فإنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ ويقولُ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى، وَيَأْبَى اللهُ وَالمُؤْمِنُونَ إلَّا أَبَا بَكْرٍ**».

وفي الصحيحين عن جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أَتَتِ امْرَأَةٌ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فأمَرَهَا أنْ تَرْجِعَ إلَيْهِ، قَالَتْ: أرَأَيْتَ إنْ جِئْتُ ولَمْ أجِدْكَ؟ كَأنَّهَا تَقُولُ: المَوْتَ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أبَا بَكْرٍ**».

---

(١) أضواء البيان(٣٦/ ١)

قال أبو محمد بن حزم: (وهذا نص جلي على استخلاف أبي بكر)اهـ(١)

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: لَمَّا ثَقُلَ رَسولُ الله ﷺ جَاءَ بلَالٌ يُوذِنُهُ بالصَّلَاةِ، فَقالَ: «**مُرُوا أبَا بَكْرٍ أنْ يُصَلِّيَ بالنَّاسِ**»، فَقُلتُ: يا رَسولَ الله إنَّ أبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أسِيفٌ وإنَّه مَتَى ما يَقُمْ مَقَامَكَ لا يُسْمِعُ النَّاسَ، فلوْ أمَرْتَ عُمَرَ، فَقالَ: «**مُرُوا أبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بالنَّاسِ**»، فَقُلتُ لِحَفْصَةَ: قُولِي له: إنَّ أبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أسِيفٌ، وإنَّه مَتَى يَقُمْ مَقَامَكَ لا يُسْمِعُ النَّاسَ، فلوْ أمَرْتَ عُمَرَ، قالَ: «**إنَّكُنَّ لَأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أبَا بَكْرٍ أنْ يُصَلِّيَ بالنَّاسِ**..» الحديث.

قال النووي رحمه الله : (فيه فوائد ، منها: فضيلة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وترجيحه على جميع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وتفضيله ، وتنبيه على أنه أحق بخلافة رسول الله ﷺ من غيره)اهـ(٢)

وغير ذلك من الأحاديث.

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل(٤/ ١٠٨)

(٢) شرح مسلم للنووي(٤/ ١٣٧)

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ :

٥- وأقُولُ فِي القُرْآنِ مَا جَاءَتْ بِهِ آيَاتُهُ فَهُوَ الكَرِيْمُ المُنْزَلُ

الشَّرْحُ

(وأقول) : أي أعتقد.

(في القرآن) : القرآن له أسماء كثيرة أشهر هذه الأسماء :

١- **الكتاب** : قال تعالى : ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾ [ص: ٢٩].

وقال تعالى : ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾[البقرة١-٢].

٢- **القرآن** : قال تعالى : ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨﴾[الإسراء: ٨٨]

وقال تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]

وقال تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]

وقال تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

٣- **الفرقان** : قال تعالى : ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾[الفرقان: ١]

وقال تعالى : ﴿وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[البقرة: ١٨٥].

٤- **الذكر** : قال تعالى : ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٠﴾ [الأنبياء: ٥٠]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ﴾ [الحجر: ٩]

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ [الزخرف: ٤٤].

٥- **التنزيل** : قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٢- ١٩٣].

(ما جاءت به آياته) : جاءت آيات القرآن بأن القرآن كلام الله المنزل على نبيه ﷺ بواسطة جبريل عليه الصلاة والسلام.

فعقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن أنه (كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود).

ويدل على أنه كلام الله أدلة منها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾[التوبة:٦].

ويدل على أنه غير مخلوق أدلة منها : قوله تعالى:﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾[الأعراف:٥٤].

روى الآجري في الشريعة(ص٨٠) عن سفيان بن عيينة بسند حسن أنه قال وقد سئل عن القرآن: أمخلوق هو؟ ، فقال: (يقول الله ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ

﴿وَٱلْأَمْرُ﴾[الأعراف:٥٤] ألا ترى كيف فرق بين الخلق والأمر ، فالأمر كلامه ، فلو كان مخلوقا لم يفرق).

ومن الأدلة على ذلك أيضا قوله ﷺ : «**أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة**».

قال الحافظ ابن حجر نقلا عن الخطابي:(كان أحمد يستدل بهذا الحديث على أن كلام الله غير مخلوق ، ويحتج أن النبي ﷺ لا يستعيذ بمخلوق)اهـ(١)

ومما جاء عن السلف رحمهم الله في هذا :

قال الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عقيدته(٣١) : (وأن القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولا ، وأنزله على رسوله وحيا وصدقه المؤمنون على ذلك حقا ، وأيقنوا أنه كلام الله بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر وقد ذمه الله وعابه وأوعده سقر حيث قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾[المدثر:٢٦] فلما أوعد الله بسقر لمن قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾[المدثر:٢٥] علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر ولايشبه قول البشر)اهـ

---

(١) الفتح(٦/ ٤١٠)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ :(والسلف اتفقوا على أن كلام الله منزل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود)اهـ(١)

ومعنى قول السلف(منه بدأ وإليه يعود) : أي أن القرآن كلام الله (منه بدأ) : أي من الله بدأ وهو الذي تكلم به على الكيفية التي لا نعلمها ، وليس كما تزعم المعتزلة أنه مخلوق خلقه الله في الهواء ، أو خلقه في ذات جبريل ، أو في ذات محمد ﷺ ، ونحو ذلك من الأباطيل ، ولا كقول الأشاعرة الذين يقولون بالكلام النفسي ، وأن كلام الله واحد تكلم في الأزل ولا يتكلم بعد ذلك.

قال تعالى:﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ﴾[السجدة:١٣] ، وقال تعالى:﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾[الزمر:١] ، وقال تعالى:﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾[فصلت:٢].

(وإليه يعود) : أي يعود إلى الله آخر الزمان فيُرفع القرآن من الصدور ومن المصاحف وهذا إنما يكون في آخر الزمان.

ويدل على هذا ما جاء في سنن ابن ماجه(٤٠٤٩)عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا**

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٨٩)

صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ..»الحديث.

صححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح ابن ماجة(٣٢٨٩) ، وهو في السلسلة الصحيحة(٨٧).

وروى الدارمي(٣٢٠٩) بسند صحيح عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقوفاً : «**لَيُسْرَيَنَّ عَلَى الْقُرْآنِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَلا يُتْرَكُ آيَةٌ فِي مُصْحَفٍ وَلا فِي قَلْبِ أَحَدٍ إِلا رُفِعَتْ**».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : (فإنه يسرى به فى آخر الزمان من المصاحف والصدور فلا يبقى فى الصدور منه كلمة ، ولا فى المصاحف منه حرف)اهـ(١)

وقيل : معناه أنه يعود إلى الله وصفا ، أي : إنه لا يوصف به أحد سوى الله ، فيكون المتكلم هو الله عز وجل ، وهو الموصوف به.(٢)

وكلام الله المسموع منه جل وعلا بحرف وصوت كما هو مقرر عند أهل السنة والجماعة على ضوء ما جاءت به الأدلة الكثيرة فالنداء لا يكون إلا بصوت

---

(١) مجموع الفتاوى(٣/ ١٩٨)

(٢) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية(٣/ ١٧٣-١٧٤)

والكلام لا يكون إلا بحرف ، فكلامه جل وعلا مسموع بصوت وحرف سمعه جبريل ثم بلغه رسول الله ﷺ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : (فالذي قال : إن هذا القرآن حرف وصوت إن أراد بذلك أن هذا القرآن الذي يقرؤه المسلمون هو كلام الله الذي نزل به الروح الأمين على محمد ﷺ خاتم النبيين والمرسلين وان جبريل سمعه من الله والنبي ﷺ سمعه من جبريل والمسلمون سمعوه من النبي ﷺ كما قال تعالى :﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[النحل:١٠٢]

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ﴾[الأنعام:١١٤] فقد أصاب في ذلك فإن هذا مذهب سلف الأمة وأئمتها والدلائل على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة والاجماع)اهـ(١)

والقرآن محفوظ سالم من الزيادة والنقصان قال تعالى :﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ :﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾[الحجر:٩] وهو القرآن ،﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحجر:٩] ، قال : وإنا للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه

(١) مجموع الفتاوى(١٢/ ٥٨٢)

باطل ما ليس منه ، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه ، والهاء في (لَهُ) من ذكر الذكر . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل)اهـ(١)

(وهو الكريم المنزل) : قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾[الواقعة:٧٧] وقد أخبر الله بتنزيله وشهد بانزاله على رسوله ﷺ فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾﴾[الإنسان:٢٣]، وقال:﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾[الإسراء:١٠٦].

وقال : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾[القدر:١] ، ونحو ذلك من الأدلة.

تنبيه : جاء في بعض النسخ (وهو القديم المنزل) : وهذا لا يوافق معتقد شيخ الاسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ -إن كان النظم له- ؛ فإن القديم : هو القديم المسبوق بشيء غيره كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾[يس:٣٩].

وأما كون القرآن قديما فهذا اعتقاد الأشاعرة ، أما عقيدة أهل السنة والجماعة فهي أن نوع الكلام قديم ، أما القرآن وآحاد آيات الله فهو متعلق بمشيئة الله تعالى يتكلم به متى شاء قال تعالى:﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾﴾[الأنبياء:٢].

و"القديم " ليس اسما من أسماء الله الحسنى ، ولا صفة من صفاته.

---

(١) جامع البيان(١٧/ ٦٨)

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح الطحاوية(١/ ٣٧): (وقد أدخل المتكلمون في أسماء الله تعالى(القديم) وليس هو من أسماء الله الحسنى..)الخ كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

ثم قال : (وأما ادخال القديم في أسماء الله تعالى فهو مشهور عند أكثر أهل الكلام وقد أنكر ذلك كثير من السلف والخلف)اهـ

وأما قوله ﷺ : «**أَعُوذُ بِاللهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** » رواه أبو داود(٤٦٦) ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

فالقديم في الحديث وصف لسلطان الله تعالى ، وليس وصفا لله.

وقد سئل العلّامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ كما في لقاء الباب المفتوح(٢٠٩/ ٢٣) : هل (القديم) اسم لله تعالى، أو صفة من صفاته؟

فأجاب : (لا ؛ القديم ليس من أسماء الله ، وليس من صفاته..).

ثم سئل عن توجيه حديث : (وسلطانك القديم).

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ : (هذا وصف للصفة ، وليس وصفاً للموصوف، سلطانه القديم ، أي: القديم هو السلطان)اهـ

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى :

٦- وأقـولُ قـالَ اللهُ جَلّ جَـلالـهُ والمُصْـطَفَى الهُـادِي ولَا أَتَـأَوّلُ

الشَّرْحُ

(وأقول قال الله) : أي أعتقد ماجاء في كتاب الله جلّ جلاله.

(جلّ جلاله) : فيه تعظيم للرب سبحانه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : (وقد نعت تعالى وجهه الكريم في هذه الآية الكريمة بأنه ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ، أي: هو أهل أن يجل فلا يعصى ، وأن يطاع فلا يخالف)اهـ (١)

(والمصطفى الهادي ولا أتأولُ) : أي وأعتقد ما صح في سنة النبي ﷺ من غير تحريف.

(والمصطفى) : من الاصطفاء وهو تناول صفوة الشيء.

قال أبو البقاء : (الاصطفاء في الأصل تناول صفوة الشيء كما أن الاختيار تناول خيره ، والاجتباء تناول جابته ،أي : وسطه وهو المختار ، واصطفاء آدم النبي على العالم بأن رجحه على الملائكة ، واصطفاء نوح عليه السلام على العالم بأن أهلك قومه وحفظ نوحا وأتباعه ، واصطفاء آل إبراهيم على العالم بأن جعل دينهم

---

(١) تفسير القرآن العظيم(٧/ ٤٥٦)

شائعا ، وذل مخالفهم، واصطفاء موسى وهارون على العالم بأن جعل فرعون مع عظمته وغلبة جنوده مغلوبا ، واصطفاء محمد ﷺ على جميع المكونات بأن جعله حبيبا ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ﴾[آل عمران:٣١].)اهـ(١)

وفي مسلم عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنانَةَ مِن ولَدِ إسْماعِيلَ، واصْطَفَى قُرَيْشًا مِن كِنانَةَ، واصْطَفَى مِن قُرَيْشٍ بَنِي هاشِمٍ، واصْطَفانِي مِن بَنِي هاشِمٍ**».

وقوله (الهادي) : صفة للنبي ﷺ قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٥٢﴾ [الشورى:٥٢] ، والمراد بالهداية هنا هداية الدلالة والارشاد وهذه الهداية ثابتة لرسول الله ﷺ ، أما الهداية بمعنى التوفيق للعمل الصالح فهذه لا تكون إلا لله وحده ولذلك نفاها الله عن نبيه ﷺ فقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦].

(ولا أتأول) : مراده رحمه الله بالتأويل هنا التحريف وهو صرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل.

---

(١) الكليات(١٣٠)

فالتأويل يأتي بعدة معاني منها :

أولا : التفسير : كقول ابن جرير وكثير من المفسرين تأويل قوله تعالى كذا وكذا.

ثانيا : يأتي بمعنى عاقبة الشيء ومآله : وهذا إن ورد في طلب فتأويله فعله إن كان أمرا وتركه إن كان نهيا وإن ورد في خبر فتأويله وقوعه.

مثاله في الطلب : قول عائشة رضي الله عنها كما في الصحيحين كان النبي ﷺ بعد نزول قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١﴾[النصر:١] يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده« **سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي**» يتأول القرآن أي : يمتثل القرآن ويعمل به.

ومثال الخبر : قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف:٥٣] فالمعنى : ما ينتظر هؤلاء إلا عاقبة ومآل ما أخبروا به.

ومنه قول يوسف عليه السلام لما سجد له أبواه واخوته: (هذا تأويل رؤياي) أي : هذا وقوع رؤياي ؛ لأنه قال ذلك بعد أن سجدوا له.

ثالثا : يأتي بمعنى صرف اللفظ عن ظاهره : وهذا النوع ينقسم إلى قسمين : محمود إذا دل عليه دليل ويكون بمعنى التفسير نحو قوله تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا

تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾﴾[النحل:١] أي: سيأتي أمر الله فهذا مخالف لظاهر اللفظ لكن دل عليه الدليل وهو قوله: (فلا تستعجلوه).

ومذموم وهو صرف اللفظ عن ظاهره بدون دليل وهذا يكون تحريفا كتحريف أهل الأهواء لآيات الصفات.

فمثلا : يقولون في قوله تعالى : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه:٥] أي : استولى ، فهذا تحريف لظاهر القرآن بدون دليل ، والظاهر والذي عليه السلف الصالح أن استوى معناه :علا وارتفع ، استواءً يليق بجلال الله من غير تكييف ولا تحريف.

والتعبير بالتحريف عن التأويل الذي ليس له دليل أولى ؛ لأنه الذي جاء به القرآن ، قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء:٤٦] ، ولأنه ألصق بطريقة المُحَرِّف ، ولأنه أشد تنفيرا ، ولأنه كله مذموم بخلاف التأويل فمنه محمود ومنه مذموم.

وأهل البدع إذا حرفوا النصوص وغيروا معانيها بلا دليل سموه تأويلاً وسموا أنفسهم بأهل التأويل، لأجل أن يصبغوا هذا الكلام صبغة القبول ؛ لأن التأويل

لا تنفر منه النفوس ولا تكرهه، لكن ما ذهبوا إليه في الحقيقة تحريف، لأنه ليس عليه دليل صحيح ، فالأولى من نفي التأويل نفي التحريف.(١)

والذي قرره الناظم في هذا البيت هو الذي عليه أهل السنة والجماعة ؛ وهو أنهم لا يستندون في نهجهم وعقيدتهم إلا على الكتاب والسنة الصحيحة.

قال تعالى:﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾[الجاثية:٦].

وقال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾[الأعراف:٣].

وقال تعالى :﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾[الأحزاب:٣٦].

وقال تعالى:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[النساء:٦٥].

وفي مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في حديث حجة الوداع ، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم خطبهم بعرفة وقال : «... **وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟** » قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ

(١) انظر في هذا شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين رحمه الله(١/ ٨٧،٨٨)

وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ «**اللهُمَّ اشْهَدْ، اللهُمَّ اشْهَدْ**» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

ومعنى ذلك أن الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ يعتقد ما جاء في كتاب الله و سنة نبيه ﷺ من أسماء الله وصفاته وأفعاله كما يليق بجلاله وعظمته من غير تحريف.

وهو هنا رَحِمَهُ اللَّهُ يقرر قاعدة عظيمة من قواعد الأسماء والصفات ؛ وهي أن أسماء الله وصفاته توقيفية لا تثبت إلا بالكتاب والسنة الصحيحة.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف:١٨٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[الإسراء:٣٦].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في بدائع الفوائد ضمن قواعد ذكرها في الصفات: (السابع : أن ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي)اهـ(١)

قال العلّامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى:([القاعدة الخامسة: أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها]

---

(١) بدائع الفوائد(١/ ١٦٢)

وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزاد فيها ولا ينقص، لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك على النص، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[الإسراء:٣٦] ، وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الأعراف:٣٣] ، ولأن تسميته تعالى بما لم يُسَمِّ به نفسه أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه تعالى، فوجب سلوك الأدب في ذلك، والاقتصار على ما جاء به النص)اهـ[١]

(١) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى(ص١٣)

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى :

٧- وَجَمِيْعُ آيَـاتِ الصِّـفَاتِ أَمِـرُّهـا حَقَـاً كَـمَا نَقَـلَ الطِّـرَازُ الأَوَّلُ

٨- وأَرُدّ عُهدَتَـهَـا إِلَـى نُقّالِـهَـا وأَصُـونُها عَـنْ كُـلِّ مـا يُتَخَيّـلُ

الشَّرْحُ

(وجميع آيات الصفات) : أي الواردة في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

(أُمرّها) : أي أمرها على ظاهرها من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

وهذا الذي عليه السلف الصالح رحمهم الله.

قال شيخ الاسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في العقيدة الواسطية : (فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة. وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره. ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه ووصفه به رسوله محمد ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله "لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ " فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه. ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يلحدون في أسماء الله ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه

لأنه سبحانه لاسمي له ولا كفؤ له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى. فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلا وأحسن حديثا من خلقه)اهـ

فمن الإيمان بالله الإيمان بصفاته التي وصف بها نفسه في كتابه أو وصفه بها رسوله صلي الله عليه وسلم في سنته من غير تحريف لألفاظها ولا تعطيل لمعانيها ولا تمثيل لها بصفات المخلوقين ، وأن نعتمد في اثباتها الكتاب والسنة لأنها توقيفية.

ومعنى التحريف في الأسماء والصفات هو تغييرها وإمالتها عن وجهها وهو على نوعين :

أولاً : تحريف اللفظ : ويكون بزيادة كلمة أوحرف أو نقصانه أو تغيير حركة كقول أهل الضلال في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[طه:٥] أي: استولى فزادوا في الآية حرفا ، وكقولهم: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾[الفجر:٢٢] أي: أمر ربك فزادوا كلمة ،

وكقولهم في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ۝١٦٤﴾ [النساء:١٦٤] بنصب لفظ الجلالة فغيروا الحركة الاعرابية من الرفع إلى النصب.

ثانيا: تحريف المعنى : كقول المبتدعة إن معنى الرحمة : إرادة الإنعام وإن معنى الغضب : إرادة الانتقام ، ونحو ذلك.

ومعنى التعطيل : أي نفي الصفات عن الله عز وجل فيقولون رحيم بلا رحمة ، عليم بلا علم ونحو ذلك.

والفرق بين التعطيل والتحريف : أن التحريف هو نفي المعنى الصحيح الذي دلت عليه النصوص واستبداله بمعنى آخر غير صحيح.

والتعطيل : هو نفي المعنى الصحيح من غير استبدال له بمعنى آخر كفعل المفوضة ، فكل محرف معطل وليس كل معطل محرفا.

والتكييف : هو تعيين كيفية الصفة، فتكييف صفات الله هو تعيين كيفيتها والهيئة التي تكون عليها ، وهذا لا يمكن للبشر لأنه مما استأثر الله بعلمه فلا سبيل إلى الوصول إليه.

لأن الصفة تابعة للذات فكما أن ذات الله لا يمكن للبشر معرفة كيفيتها فكذلك صفته سبحانه لا تعلم كيفيتها ولهذا لما سئل الإمام مالك عن الاستواء ، فقيل له(ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ) كيف استوى؟ قال رَحِمَهُ اللَّهُ: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.

وهذا يقال في جميع الصفات.

والتمثيل : بأن يقال إن صفات الله مثل صفات المخلوقين ، كأن يقال يد الله مثل أيدينا وسمعه كسمعنا ونحو ذلك وهذا كله باطل قال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ

شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ [الشورى:١١] ؛ فالمعطل ينفي الصفات ، والممثل يثبتها على وجه لا يليق بعظمة الله وكبريائه.

وفي قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ رد على المشبهة ، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ رد على المعطلة.

وأهل السنة والجماعة يثبتون صفات الله الثابتة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل.[1]

(حقا كما نقل الطراز الأول) : الطِّراز : مأخوذ من الطرز ، وهو الشكل ، ومنه على طراز كذا.

والطِّراز : عَلَم الثوب ، فارسي معرب.

والطِّراز : النمط ، ومنه: فلان ليس على طرازك.

[تاج العروس ، لسان العرب مادة (طرز)].

والمقصود بالطراز الأول هم السلف الصالح ؛ فمذهبهم رحمهم الله ، إثبات الصفات وإجراؤها على ظاهرها ، ونفي الكيفية عنها.

---

(١) شرح الواسطية للفوزان(ص١١-١٦)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : (فمذهب السلف رضوان الله عليهم إثبات الصفات وإجراؤها على ظاهرها ونفي الكيفية عنها ، لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات وإثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية فكذلك إثبات الصفات وعلى هذا مضى السلف كلهم)اهـ(١)

(وأرد عهدتها إلى نقالها) : قال أبو البقاء في الكليات: (العهد الموثق ووضعه لما من شأنه أن يراعى ويتعهد كالقول والقرار واليمين والوصية والضمان والحفظ والزمان والأمر ، يقال: عهد الأمير إلى فلان بكذا إذا أمره ، ويقال للدار من حيث إنها تراعى بالرجوع إليها وللتأريخ لأنه يحفظ والعهد توحيد الله ومنه ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾ [مريم:٨٧] ، ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾[الإسراء:٣٤])اهـ

ومعناه أنه يرد عهدتها أي أدلة الأسماء والصفات إلى نقالها من صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ والتابعين لهم فهم أعلم بهذه الأدلة ومدلولاتها فماسكت عنه السلف نسكت عنه فإن كان الظاهر صفة ولم يقل به السلف فإننا لانقول به ويسعنا ما وسعهم.

(وأصونها) : قال ابن منظور في لسان العرب:

---

(١) مجموع الفتاوى(٤/ ٧٠٦)

(الصون أن تقي شيئا أو ثوبا ، وصان الشيء صونا وصيانة وصيانا ، واصطانه ، قال ابن أمية بن أبي عائذ الهذلي :

أبلغ إياسا أن عرض ابن أختكم ردائك فاصطن حسنه أو تبذل)اهـ

(عن كل ما يُتَخَيّل) : أي أصونها عن كل ما يتخيله أصحاب القلوب المريضة والعقول السقيمة من المشبهة والمعطلة وأهل التحريف والإلحاد. قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١] ، وقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:١-٤]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ :(مذهب السلف أنهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، فالمعطل يعبد عدما ، والممثل يعبد صنما ، والمسلم يعبد الله إله الأرض والسماء)اهـ[1]

(١) مجموع الفتاوى(٦/ ٥١٥)

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى :

٩- قُبْحاً لِمَنْ نَبَـــذَ الْقُـــرَانَ وَرَاءَهُ وإِذَا اسْـتَدَلّ يَقُـولُ قَـالَ الأَخْطَـلُ

الشَّرْحُ

(قُبْحاً) : القبح ضد الحسن.

قال ابن منظور في لسان العرب :(قبح: القبح ضد الحسن يكون في الصورة والفعل: قبح يقبح قبحا وقبوحا وقباحا... ثم قال: قبح الله فلانا قبحا وقبوحا أي: أقصاه وباعده عن كل خير... ثم قال: وفي التنزيل:

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾[القصص:٤٢] أي: المبعدين عن كل خير...)اهـ

وهذا تقبيح لمن اتصف بهذه الصفة ، وليس تقبيحا لمعين.

إذ التقبيح واللعن المطلق جائز قال تعالى: ﴿أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأعراف:٤٤] ، وقال تعالى: ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾[آل عمران:٦١]

وفي مسلم عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله ﷺ: «**لعن الله من لعن والده ، ولعن الله من ذبح لغير الله ، ولعن الله من آوى محدثا ، ولعن الله من غيّر منار الأرض**» وفي الصحيحين عن أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت قال رسول الله ﷺ:

«**لعن الله الواصلة والمستوصلة**» وغيرها من الأدلة التي تدل على جواز اللعن بالوصف سواء كان في حق أهل المعاصي أو أهل البدع.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ كما في مجموع الفتاوى(٦/ ٥١١):(واللعنة تجوز مطلقا لمن لعنه الله ورسوله ، وأما لعنة المعين فإن علم أنه مات كافرا جازت لعنته ، وأما الفاسق المعين فلا تنبغي لعنته لنهي النبي ﷺ أن يلعن عبدالله بن حمار الذي كان يشرب الخمر ، مع أنه قد لعن شارب الخمر عموما ، مع أن في لعنة المعين إذا كان فاسقا أو داعيا إلى بدعة نزاعا)اهـ

قلت: أشار رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله : (لنهي النبي ﷺ أن يلعن عبدالله بن حمار الذي كان يشرب الخمر) ؛ إلى الحديث الذي أخرجه البخاري عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أَنَّ رَجُلًا علَى عَهْدِ النبيِّ ﷺ كانَ اسْمُهُ عَبْدَ الله، وكانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، وكانَ يُضْحِكُ رَسولَ الله ﷺ، وكانَ النبيُّ ﷺ قدْ جَلَدَهُ في الشَّرَابِ، فَأُتِيَ به يَوْمًا فأمَرَ به فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: اللَّهُمَّ العنْه، ما أكْثَرَ ما يُؤْتَى بهِ؟ فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «**لا تَلْعَنُوهُ، فَوَاللهِ ما عَلِمْتُ إِلَّا أنَّه يُحِبُّ اللهَ ورَسولَهُ**».

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في القول المفيد(١/ ٢٢٦) : (الفرق بين لعن المعين ولعن أهل المعاصي على سبيل العموم ؛ فالأول ممنوع ، والثاني جائز ، فإذا رأيت من آوى محدثا فلا تقل: لعنك الله ، بل قل: لعنة الله على من آوى محدثا ، على

سبيل العموم والدليل على ذلك أن النبي ﷺ لما صار يلعن أناسا من المشركين من أهل الجاهلية بقوله:« اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا» نهي عن ذلك بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران:١٢٨] رواه البخاري)اهـ

(لمن نبذ القران) : بتسهيل الهمز ليستقيم الوزن.

(وراءه) : أي طرح القرآن وراءه ، وأعرض عنه ورغب عن الاهتداء به.

قال تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [آل عمران:١٨٧].

وهذا فيه ذم لمن ترك أدلة الكتاب والسنة ، وتشنيع على أهل الضلال الذين يردون قول الله ورسوله بقول بشر.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته :

العلم قال الله قال رسوله ... قال الصحابة هم أولو العرفانِ

ما العلم نصبك للجدال سفاهةً ... بين الرسول وبين قول فلانِ

(قبحا لمن نبذ القران وراءه): يدخل في هذا أيضا من نبذ السنة.

(وإذا استدل يقول قال الأخطلُ) : الأخطل هو : غياث بن غوث ، ويقال: ابن غويث بن الصلت ،

ويقال: ابن غوث بن سلمة بن طارقة أبو مالك التغلبي النصراني ، الشاعر المعروف بالأخطل.

وفي هذا البيت ذم الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من نبذ القرآن العظيم وراءه وأعرض عنه ، واتبع هواه ؛ فسلك غير طريقه المستقيم ونهجه القويم.

فتارة يقول : القرآن عبارة عن كلام الله وإنما كلامه القائم بنفسه جل وعلا.

وتارة يقول : القرآن حكاية عن الله . وقد رد الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ على من قال بالكلام النفساني وأبطله من نحو تسعين وجها وذكر هذا ابن القيم في نونيته.

ومن العجب أن من قال بهذا ليس له دليل إلا قول الأخطل النصراني :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جُعِل اللسان على الفواد دليلا

فالأشاعرة استدلوا بهذا البيت على أن كلام الله نفساني ، وأن القرآن الموجود في المصحف هو عبارة عن كلام الله ، فحاصل ذلك أن ما في المصحف ليس بكلام الله ، وهذا قول باطل ولو كان ما في النفس يعتبر كلاما لكان الذي يوسوس بطلاق زوجته قد طلقها فعلا ، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ :«**إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به نفسها مالم تعمل أو تتكلم**» ففرق بين حديث النفس وبين الكلام.

ومما يدل على هذا أيضا حديث معاوية بن الحكم رضي الله عنه عند مسلم أن النبي ﷺ قال: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس**».

وقد نقل الإجماع على أن من تكلم في الصلاة عامدا بطلت صلاته ، فلو كان حديث النفس يسمى كلاما لبطلت صلاة من يحدث نفسه ولوكان المتكلم حكمه حكم الساكت لبطلت صلاة الساكت أيضا وهذا لا يقول به أحد.

ولو كان الساكت والمتكلم سواء فما فائدة هذه الأدلة؟!

خلاصة القول: أن قول الأشاعرة ومن نحى نحوهم(إن الكلام لفي الفؤاد) يدل على أنه كلام نفساني ليس بصحيح ، والكلام نطق مفهم يطلق على اللفظ والمعنى ، و كلام الله عزوجل حروف وأصوات ومعاني.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (٧ / ١٣٨-١٤٠):

(وأما البيت الذي يحكى عن الأخطل أنه قال:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فمن الناس من أنكر أن يكون هذا من شعره. وقالوا :إنهم فتشوا دواوينه فلم يجدوه. وهذا يروى عن محمد بن الخشاب. وقال بعضهم: إن البيان لفي الفؤاد. ولو احتج محتج في مسألة بحديث أخرجاه في الصحيحين عن النبي ﷺ لقالوا هذا خبر واحد ، ويكون مما اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول.

وهذا البيت لم يثبت نقله عن قائله بإسناد صحيح لا واحد ولا أكثر من واحد ، ولا تلقاه أهل العربية بالقبول ، فكيف يثبت به أدنى شيء من اللغة فضلا عن مسمى الكلام.

ثم يقال: مسمى الكلام والقول ونحوهما ليس هو مما يحتاج فيه إلى قول شاعر ، فإن هذا مما تكلم به الأولون والآخرون من أهل اللغة، وعرفوا معناه في لغتهم، كما عرفوا مسمى الرأس واليد والرجل.

وأيضا فالناطقون باللغة يحتج باستعمالهم للألفاظ في معانيها، لا بما يذكرونه من الحدود ؛ فإن أهل اللغة الناطقين لا يقول أحد منهم: إن الرأس كذا، واليد كذا، والكلام كذا، واللون كذا، بل ينطقون بهذه الألفاظ دالة على معانيها، فتعرف لغتهم من استعمالهم.

فعلم أن الأخطل لم يرد بهذا أن يذكر مسمى (الكلام) ولا أحد من الشعراء يقصد ذلك البتة؛ وإنما أراد -إن كان قال ذلك- ما فسره به المفسرون للشعر، أي: أصل الكلام من الفؤاد، وهو المعنى؛ فإذا قال الإنسان بلسانه ما ليس في قلبه فلا تثق به؛ وهذا كالأقوال التي ذكرها الله عن المنافقين ذكر أنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ولهذا قال:

لا يعجبنّك من أثير لفظه حتى يكون مع الكلام أصيلا

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

نهاه أن يُعجب بقوله الظاهر حتى يعلم ما في قلبه من الأصل؛ ولهذا قال: حتى يكون مع الكلام أصيلا. وقوله "مع الكلام" دليل على أن اللفظ الظاهر قد سماه كلاما ، وان لم يعلم قيام معناه بقلب صاحبه، وهذا حجة عليهم؛ فقد اشتمل شعره على هذا وهذا ؛ بل قوله(مع الكلام) مطلق وقوله : إن الكلام لفي الفؤاد. أراد به أصله ومعناه المقصود به، واللسان دليل على ذلك .

و(بالجملة) فمن احتاج إلى أن يعرف مسمى (الكلام) في لغة العرب، والفرس ،والروم ،والترك ، وسائر أجناس بني آدم بقول شاعر، فإنه من أبعد الناس عن معرفة طرق العلم .

ثم هو من المُوَلَّدين ؛ وليس من الشعراء القدماء، وهو نصراني كافر مُثَلِّث ، واسمه الأخطل، والخطل فساد في الكلام، وهو نصراني والنصارى قد أخطؤوا في مسمى الكلام ، فجعلوا المسيح القائم بنفسه هو نفس كلمة الله)اهـ

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في الصواعق المرسلة(١/ ٣٤٤) :

وقال الشاعر:

إن البيان من الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

هكذا قال الشاعر هذا البيت، وهكذا هو في ديوانه.

قال أبو البيان : أنا رأيته في ديوانه كذلك، فحرفه عليه بعض النفاة، وقالوا:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الكلام دليلا..)اهـ

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى :

١٠- والمؤمنونَ يَرَونَ حقّاً ربّهُم وإلى السّماءِ بِغيرِ كَيفٍ يَنْزِلُ

الشَّرْحُ

في هذا البيت يقرر الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ ما يلي :

أولاً : رؤية المؤمنين لربهم وهذا شامل لرؤيتهم ربهم في عرصات القيامة ، وفي الجنة.

ثانيا : النزول الإلهي في الثلث الأخير من الليل ، وكلا الأمرين ثابت.

فالرؤية ثابتة بنصوص الكتاب والسنة ، والمؤمنون يرون ربهم في موضعين :

أولا : في عرصات القيامة : ويدل على هذا أدلة الكتاب والسنة ومن ذلك ما يلي :

قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾[القيامة:٢٢،٢٣].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في الجامع لأحكام القرآن(٢١/ ٤٢٧) : (قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ الأول من النضرة التي هي الحسن والنعمة ، والثاني من النظر.

أي: وجوه المؤمنين مشرقة حسنة ناعمة ، يقال: نضرهم الله ينضرهم نضرة ونضارة ، وهو الإشراق والعيش والغنى ومنه الحديث: «**نضر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها**».

"إلى ربها": إلى خالقها ومالكها(ناظرة) أي: تنظر إلى ربها ، على هذا جمهور العلماء)اهـ

قول القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ : (على هذا جمهور العلماء) : أما علماء أهل السنة ؛ فمجمعون على ذلك ، وأما أهل البدع من الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم ؛ فخلافهم غير معتبر.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أناسا قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : «**هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟**» ، قالوا : لا

قال : «**فإنكم ترونه كذلك**..» الحديث.

وفي الصحيحين من حديث جرير بن عبدالله البجلي قال: كنا جلوسا مع النبي ﷺ ننظر إلى القمر ليلة أربعة عشر فقال: «**إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا لا تضارون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب**».

ثانيا : في الجنة : ويدل على ذلك أدلة منها :

قوله تعالى : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦].

وقوله تعالى:﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾[ق:٣٥].

فالحسنى هي : الجنة ، وزيادة : رؤية المؤمنين لربهم في الجنة.

وكذا مزيد : رؤية الله في الجنة ، نسأل الله من فضله.

وفي مسلم عن صهيب عن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل**» وفي رواية ثم تلا: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾.

قال العلامة السعدي رحمه الله في تفسيره :(فهؤلاء الذين أحسنوا لهم الحسنى وهي الجنة الكاملة في حسنها "وزيادة" وهي النظر إلى وجه الله الكريم وسماع كلامه ، والفوز برضاه والبهجة بقربه ، فبهذا حصل لهم أعلى ما يتمناه المتمنون ويسأله السائلون)اهـ

وفي الصحيحين عن أبي موسى أن النبي ﷺ قال: «**جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن يروا ربهم تبارك وتعالى إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**».

هذه بعض الأدلة التي تثبت رؤية المؤمنين لربهم على الحقيقة لا يرتابون في ذلك ولا يشكون.

وعلى هذا إجماع السلف وإنما خالف في هذا أهل البدع من الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية، وقولهم باطل مردود بما تقدم من أدلة الكتاب والسنة.

قال الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ : (والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية كما نطق به كتاب ربنا : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾[.

وقال ابن أبي العز معلقاً على هذا الكلام : (المخالف في الرؤية : الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية، وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة، وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين وأهل الحديث وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنة والجماعة)اهـ(١)

فمن زعم بعد هذا أن الله لا يرى في الآخرة فقد كذب بالكتاب وبما أرسل الله به رسله وعرض نفسه للوعيد الشديد الوارد في قوله تعالى:﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين:١٥] نسأل الله السلامة والعافية ، ونعوذ بالله من اتباع الهوى والشيطان ، ونسأله لذة النظر إلى وجهه.

---

(١) شرح الطحاوية(١٢٩)

فالمراد بقول الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ :(والمؤمنون يرون حقا ربهم) : أي يرون ربهم بأعينهم على الحقيقة بغير إحاطة ولا كيفية في موضعين : في عرصات القيامة وفي الجنة.

وليس المراد رؤيتهم لربهم في الدنيا ؛ فإن الذي عليه إجماع أهل السنة أن الله لا يراه أحد في الدنيا بعينه ، ويدل على هذا ما جاء في مسلم عن بعض أصحاب النبي ﷺ عند ذكر الدجال وفيه : «**وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَنْ يَرَى رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ**» .

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٦/ ٥١٢) :(أجمع سلف الأمة وأئمتها على أن المؤمنين يرون الله بأبصارهم في الآخرة ، وأجمعوا على أنهم لا يرونه في الدنيا بأبصارهم ولم يتنازعوا إلا في النبي ﷺ ، وثبت عنه في الصحيح أنه قال «**وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَنْ يَرَى رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ**» .

ومن قال من الناس ؛ إن الأولياء أو غيرهم يرى الله بعينه في الدنيا فهو مبتدع ضال مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة ؛ لاسيما إذا ادَّعوا أنهم أفضل من موسى ؛ فإنَّ هؤلاء يُستتابون ؛ فإن تابوا وإلَّا قُتِلوا، والله أعلم)اهـ

ولما فرغ الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ من الكلام على الرؤية شرع في الكلام على النزول فقال:

وإلى السماء بغير كيف ينزلُ.

(وإلى السماء) : أي السماء الدنيا.

(بغير كيف ينزل) : ينزل الله جل جلاله في الثلث الأخير من الليل إلى السماء الدنيا نزولا يليق بجلاله ، على كيفية يعلمها وتخفى علينا.

وقبل الكلام على النزول ، نذكر بعض أدلة علو الله على عرشه.

فعلو الله ثابت بالكتاب والسنة وإجماع السلف والعقل والفطرة السليمة.

أولا : بعض الأدلة الواردة في كتاب الله :

١- عبر عنه بالاستواء على العرش فقال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[طه:٥] ، وقال: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف:٥٤].

٢- عبر عنه بأنه في السماء قال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦]

٣- عبر عنه بالعلي قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾ [البقرة:٢٥٥].

٤- عبر عنه بالأعلى قال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾ [الأعلى:١]

٥- عبر عنه بالفوقية قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ [الأنعام:١٨] ، وقال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل:٥٠]

٦- عبر عنه بالصعود والرفع إليه قال تعالى:﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]

٧- عبر عنه بالعروج إليه قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٣-٤] والعروج يكون من أسفل إلى أعلى كما في أحاديث المعراج.

وغيرها من الأدلة في كتاب الله التي تثبت علو الله سبحانه ، وأنه في السماء مستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله بلا تكييف ولا تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل.

ثانيا : بعض الأدلة الواردة في السنة :

١- ما جاء في مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: كانت لي غنم بين أحد والجوانية فيها جارية لي فاطلعتها ذات يوم فاذا الذئب قد ذهب منها بشاة - وأنا رجل من بني آدم- فأسفت فصككتها ، فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له ، فعظم ذلك علي ، فقلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟

قال: «**ادعها**» ، فدعوتها ، فقال لها رسول الله ﷺ: «**أين الله؟**» ، قالت: في السماء ، قال: «**من أنا؟**» ، قالت: أنت رسول الله ، قال: «**اعتقها فإنها مؤمنة**».

٢- حديث جابر عند مسلم أن رسول الله ﷺ قال في خطبة يوم عرفة: «**ألا هل بلغت؟**» فقالوا: نعم فجعل يرفع اصبعه إلى السماء وينكتها إليهم ويقول: «**اللهم اشهد**».

٣- حديث عبدالله بن عمرو بن العاص عند أبي داود والترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «**الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**» والحديث صححه الألباني في الصحيحة(٩٢٢).

٤- حديث زينب بنت جحش في البخاري أنها كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول : «**زوجكن أهاليكن ، وزوجني الله من فوق سبع سموات**».

٥- حديث أبي سعيد في الصحيحين أن النبي ﷺ قال :« **ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء؟ يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً**».

٦- حديث أبي هريرة عند مسلم أن رسول الله ﷺ قال : «**والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه ، إلا كان الذي في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها زوجها**».

٧- حديث أبي هريرة في البخاري قال رسول الله ﷺ: «**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله إلا طيب فإنها يتقبلها الله بيمينه ويربيها لصاحبها حتى تكون مثل الجبل**».

ومن أدلة العلو أحاديث المعراج ؛ فإن النبي ﷺ عُرِج به إلى السماء وأمره الله بالصلوات الخمس.

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية(١/ ٢٧٠) :(وفي حديث المعراج دليل على ثبوت صفة العلو لله تعالى: من وجوه، لمن تدبره، وبالله التوفيق)اهـ

قلت : ومن هذه الوجوه التفصيل الذي ورد في الحديث وهو كون النبي ﷺ يعرج به إلى السماء ثم ينتقل من السماء الدنيا إلى الثانية ومن الثانية إلى الثالثة وهكذا إلى السابعة ثم إلى سدرة المنتهى ثم عند ذلك يكون قربه من ربه عز وجل فهذا دليل على علو الله تعالى .

وكذا ما جاء من صعود النبي ﷺ إلى ربه ، وكذلك تردده ﷺ بين الله عز وجل وموسى ؛ فينزل إلى موسى في السماء السادسة ثم يصعد إلى ربه عز وجل في السماء السابعة عند سدرة المنتهى ؛ هذا كله دليل على علو الله جل جلاله ، وغير ذلك مما هو معلوم في حديث الإسراء ويعد ضرورة في إثبات علو الله تعالى .

ثالثا : الإجماع : أجمع السلف على علو الله تعالى ، وقد نقل الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه "العلو للعلي الغفار" جملة من أقوالهم.

قال العلامة ابن عثيمين في شرح الواسطية(٢/ ٧٨):(أما الاجماع فقد أجمع السلف على ذلك وطريق العلم با جماعهم عدم نقل ضد ما جاء في الكتاب والسنة فإنهم كانوا يقرؤون القرآن وينقلون الأخبار ويعلمون معانيها ولما لم ينقل عنهم ما

يخالف ظاهرها علم أنهم لا يعتقدون سواه ، وأنهم مجمعون على ذلك ، وهذا طريق حسن لإثبات إجماعهم فاستمسك به ينفعك في مواطن كثيرة)اهـ

رابعاً : العقل : وأما العقل فمن وجهين :

الأول : أن العلو صفة كمال والكمال ثابت لله.

الثاني : أنه إذا لم يكن عاليا فإما أن يكون تحت أو مساويا وهذا نقص تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

خامسا : الفطرة : أما الفطرة فلا ينكرها أحد إلا من انحرفت فطرته ، فكل إنسان إذا دعا وقال: يا الله ، يتجه قلبه إلى السماء.

ولمزيد بسط انظر العلو للعلي الغفار للذهبي ، ومختصر العلو للألباني .

أما نزول الله جل جلاله إلى السماء الدنيا فقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :«**ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة ، حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول: من يدعوني فاستجب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له**».

فدل الحديث على نزول الله جل جلاله إلى السماء الدنيا نزولا حقيقيا كما يليق بجلاله.

والحديث متواتر وقد صنف فيه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ مصنفا خاصا شرحه فيه لعظم هذا الأمر وأهميته.

وقال الذهبي في العلو (١٠٠) : (وقد ألفت أحاديث النزول في جزء وذلك متواتر أقطع به ، وقد حرف أهل البدع صفة النزول فقالوا: ينزل أمره أو بعض ملائكته)اهـ

قال شيخ الاسلام كما في مجموع الفتاوى(٥/ ٤٠٧) : (فإن قال لنا: كيف النزول منه جل وعز ؟ قلنا لانحكم على النزول منه بشيء ، ولكنا نبين كيف النزول منا وما تحتمله اللغة من هذا اللفظ والله أعلم بما أراد.

والنزول منا يكون بمعنيين :

أحدهما : الانتقال من مكان الى مكان كنزولك من الجبل إلى الحضيض ومن السطح إلى الدار.

والمعنى الآخر : إقبالك إلى الشيء بالارادة والنية ، كذلك الهبوط والارتفاع والبلوغ والمصير ، وأشباه هذا من الكلام)اهـ

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ :

١١- وأُقِـرّ المِيـزَانِ والحـوضِ الـذي أَرجُــو بِــأَنِّي مِنْــهُ رِيّــاً أَنْهَــلُ

الشَّرْحُ

(وأقر بالميزان) : أقر : بلساني وأعتقد بجناني.

بالميزان : الذي توزن به الأعمال يوم القيامة ، وتوزن به الصحف ، ويوزن به العامل.

وهو ميزان حقيقي وليس مجازا كما زعمت المعتزلة وزعموا أن المراد به العدل.

قال الحافظ في الفتح :(قال أبو اسحاق الزجاج: أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان ، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة ، وأن الميزان له لسان وكفتان ، ويميل بالأعمال ، وأنكرت المعتزلة الميزان ، وقالوا: هو عبارة عن العدل. فخالفوا الكتاب والسنة ، لأن الله أخبر أنه يضع الموازين لوزن الأعمال ليرى العباد أعمالهم ممثلة ليكونوا على أنفسهم شاهدين)اهـ(١)

والميزان بيد الرحمن ، لحديث النواس بن سمعان عند مسلم: (الميزان بيد الرحمن يرفع اقواما ويضع آخرين).

---

(١) الفتح(١٣/ ٥٣٨)

وله كفتان كما في حديث البطاقة عن عبدالله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ :«**إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئا ؟أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب ،فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب فيقول :بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، فيقول: أحضر وزنك ، فيقول :يا رب ما هذه البطاقه مع هذه السجلات؟ ، فقال: إنك لا تظلم ، قال: فتوضع السجلات في كفة ،و البطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء**»

رواه ابن ماجة والترمذي وصححه الألباني.

فدل الحديث على أن الميزان له كفتان ، كفة للحسنات وكفة للسيئات.

والميزان ثابت في الكتاب والسنة :

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧﴾[الأنبياء:٤٧]

وقال تعالى : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة:٧-٨]

وقال تعالى:﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝١٠٣﴾ [المؤمنون:١٠٢-١٠٣]

وقال تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾ [الأعراف:٨-٩]

وقال تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ [القارعة:١-١١]

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ۝١٠٥﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٥]

وغيرها من الأدلة.

ومن أدلة الميزان في السنة :

ماجاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**».

وروى الإمام أحمد والحاكم وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه تسلق أراكة وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكفؤه ، فضحك القوم فقال رسول الله ﷺ: «**مم تضحكون؟**» قالوا: يانبي الله من دقة ساقيه. فقال: «**والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد**» والحديث صحيح.

وكذا حديث أنس عند الترمذي يا رسول الله اشفع لي ، أين ألقاك يوم القيامة؟ قال: «**تلقاني عند الصراط**» ، قال: فإن لم أجدك؟ قال: «**فعند الحوض**»، قال: فإن لم أجدك؟ ، قال: «**فعند الميزان ولا أخطئ هذه المواطن**» ، والحديث صحيح وهو في الجامع الصحيح للعلامة الوادعي رحمه الله(٦١٦).

ومن الأدلة أيضا حديث البطاقة السابق.

واختلف أهل العلم هل هو ميزان واحد أو أكثر والراجح أنه ميزان واحد كما في حديث البطاقة وغيرها من الأحاديث أما قوله تعالى بالجمع : ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ

﴿ٱلْقِسْطَ﴾[الأنبياء:٤٧]، وقوله: :﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [المؤمنون:١٠٢] ؛ فالمراد بها الموزونات ، والله أعلم.

وقد دلت النصوص على أن الذي يوزن في الميزان ثلاثة :

أولا : الأعمال : كما في حديث البطاقة ، وحديث أبي هريرة : «**كلمتان خفيفتان...**»الحديث.

ثانيا : صحائف الأعمال : كما في حديث البطاقة السابق ذكره.

ثالثا : العامل : كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] ولحديث أبي هريرة في الصحيحين أن النبي ﷺ قال : «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة» وقال : اقرؤوا إن شئتم :﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾.

ويدل على هذا أيضا حديث ابن مسعود السابق وأن دقة ساقيه أثقل في الميزان من جبل أحد.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره(٢/ ٢٢٦) : (وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحا ، فتارة توزن الأعمال ، وتارة توزن محالها ، وتارة يوزن فاعلها ، والله أعلم)اهـ

الأعمال التي تثقل الميزان يوم القيامة :

من المعلوم أن جميع الأعمال الصالحة التي يراد بها وجه الله تثقل ميزان حسنات العبد يوم القيامة قال تعالى﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة:٧-٨] .

غير أن النصوص قد دلت على أعمال معينة تثقل ميزان العبد يوم القيامة منها :

١- التهليل ويقصد به (لا إله إلا الله) فهي أثقل شيء في الميزان ويدل على هذا حديث البطاقة السابق ذكره.

٢- ذكر الله تعالى(التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير...).

ويدل على هذا حديث أبي هريرة السابق: «**كلمتان خفيفتان...**»الحديث.

وكذا حديث جويرية عند مسلم أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال: «**ما زلت على الحال التي فارقتك عليها**» قالت: نعم ، قال: «**لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته**».

٣- المحافظة على الأذكار دبر الصلاة المفروضة وعندما يأخذ العبد مضجعه:

ويدل على هذا حديث عبدالله بن عمرو عند أحمد وأبي داود والترمذي وغيرهم أن النبي ﷺ قال: «**خصلتان أو خلتان لا يحافظ عليهما عبد مسلم إلا دخل الجنة هما يسير ومن يعمل بهما قليل يسبح دبر كل صلاة عشرا ويحمد عشرا ويكبر عشرا فذلك خمسون ومائة باللسان وألف وخمسمائة في الميزان ويكبر أربعا وثلاثين إذا أخذ مضجعه ويحمد ثلاثا وثلاثين ويسبح ثلاثا وثلاثين فذلك مائة باللسان وألف في الميزان..**» والحديث صحيح وقد صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

٤- الصبر والاحتساب على فقدان الولد الصالح : ويدل على هذا حديث زيد عن أبي سلام عن مولى رسول الله ﷺ عند أحمد أن النبي ﷺ قال: «**بخ بخ خمس ما أثقلهن في الميزان لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله والولد الصالح يتوفى فيحتسبه والداه..**» والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

٥- مكارم الأخلاق : ويدل على هذا حديث أبي الدرداء عند أبي داود أن النبي ﷺ قال: «**ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق**» صححه الألباني في صحيح أبي داود.

وعند الترمذي عن أبي الدرداء مرفوعا: «**ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة**» صححه الألباني في صحيح الترمذي.

٦- إتباع الجنازة حتى يفرغ من دفنها : ويدل على هذا حديث أُبي عند أحمد أن النبي ﷺ قال: «**من تبع جنازة حتى يصلى عليها ويفرغ منها فله قيراطان ومن تبعها حتى يصلى عليها فله قيراط والذي نفس محمد بيده لهو أثقل في ميزانه من أحد**» والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير.

بعض أقوال أهل العلم في الحكمة من الوزن :

فإن قيل : ما الحكمة في الوزن مع أن الله تعالى عالم بكل شيء ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾[غافر: ١٩] ؟

فالجواب : ذكر أهل العلم جملة من الحكم في هذا؛

فقيل : أن الحكمة في ذلك تعريف الله عباده بما لهم عنده من الجزاء من خير وشر.

وقيل : بل الحكمة في ذلك إظهار العدل وبيان الفضل حيث إنه يزن مثاقيل الذر من خير أو شر.

﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء:٤٠]

وقيل : بل المقصود من ذلك تعريف العباد مقادير أعمالهم لو دخلوا الدارين.

قبل الموازنة ربما ظن المطيع أن نيله الدرجات في الجنة عن الاستحقاق وتوهم المعذب أن عذابه فوق ذنبه فتوزن أعمالهم ليقفوا على مقادير أجرها فيعلم الصالح أن ما ناله من الدرجات بفضل الله لا بمجرد عمله ويتيقن المجرم أن ما ناله من العذاب دون ما ارتكب من الجرائم فإن الله لا يظلمه.

وهذا الأخير هو أحسن ما قيل في حكمة الوزن ، والله أعلم.(١)

(والحوض) : الحوض لغةً : قال ابن منظور في لسان العرب: (والحوض مجتمع الماء معروف ، والجمع أحواض وحياض)اهـ

والمراد بالحوض شرعا : هو حوض النبي ﷺ الذي يسقي منه أمته يوم القيامة.

والحوض والكوثر ثابت بالكتاب والسنة وإجماع السلف ؛ قال السفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ : (والحوض والكوثر ثابت بالنص وإجماع أهل السنة والجماعة ، حتى عده أهل السنة في العقائد الدينية لأجل الرد على أهل البدع والضلال)اهـ

قال الله تعالى لنبيه : ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾[الكوثر:١] .

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في صحيحه : باب في الحوض، وقول الله تعالى : ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾[الكوثر:١] .

---

(١) اللالئ البهية للمرداوي(١٣٦،١٣٧)

قال ابن جرير في تفسيره(٢٤/ ٦٨٥) بعد أن ذكر أقوالا في معنى الكوثر: (وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي قول من قال: هو اسم النهر الذي أعطيه رسول الله ﷺ ، وصفه الله بالكثرة لعظم قدره ، وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصواب لتتابع الأخبار عن رسول الله ﷺ بأن ذلك كذلك)اهـ

وقيل : سمي كوثرا ، لكثرة الواردة والشاربة من أمة محمد ﷺ هناك، ولما فيه من الخير الكثير والماء الكثير.

والفرق بين الحوض والكوثر :

أن الكوثر : نهر في الجنة أعطاه الله لنبيه ﷺ .

- ويدل على ذلك ما جاء في البخاري عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **بينما أنا أسير في الجنة إذا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا طينه – أو طيبه – مسك أذفر** » .

وفي مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : « **بينما نحن عند النبي ﷺ إذ غفا إغفاءة ، ثم رفع رأسه متبسما فقلنا : ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال : نزلت علي سورة . فقرأ . بسم الله الرحمن الرحيم . إنا أعطيناك الكوثر إلى آخرها ، ثم قال : أتدرون ما الكوثر ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : فإنه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير ..**» الحديث .

- وروى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : «**الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت** .. »الحديث .

صححه الألباني كما في صحيح سنن الترمذي .

وأما الحوض فهو : مجمع ماء عظيم يوضع في أرض المحشر يوم القيامة ترد عليه أمة محمد ﷺ .

ويدل على هذا حديث سهل بن سعد رضي الله عنه في الصحيحين قال رسول الله ﷺ: « **أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، فَمَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ مِنْهُ، وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا**..»الحديث .

والفَرَط: هو الذي يسبق إلى الحوض.

وفي مسلم عن أنس مرفوعا : «**هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» .

- وهذا الحوض يأتيه ماؤه من نهر الكوثر الذي في الجنة ، يصب من الكوثر ميزابان فيه .

ويدل على هذا ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال - عندما ذكر الحوض - : « **يشخب فيه ميزابان من الجنة، من شرب منه لم يظمأ** » .

ومعنى (يشخب) : يصب .

وفي مسلم عن ثوبان مرفوعا : (وسئل عن شرابه-أي الحوض- فقال: «**أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل يغُتّ فيه ميزابان يمدانه من الجنة ، أحدهما من ذهب والآخر من ورق**».

ومعنى يَغُتُّ: يعني: يدفقان فيه الماء دفقاً متتابعاً شديداً.

قال الحافظ في الفتح(١١/ ٤٦٦) : (الكوثر نهر داخل الجنة وماؤه يصب في الحوض)اهـ

فالكوثر في الجنة ، والحوض في عرصات القيامة.

وأدلة الحوض كثيرة متواترة ومن هذه الأدلة ما يلي :

- حديث عقبة بن عامر في الصحيحين: «**إني فرط لكم ، وأنا شهيد عليكم ، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن ، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض أو مفاتيح الأرض وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ، ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها**».

وفي البخاري عن عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ: «**أنا فرطكم على الحوض**».

والفرط : قيل هو الذي يتقدم ويصلح الحياض يجمع فيها الماء ، وليس معنى ذلك أن الحوض ما كان موجودا إلا حين تقدم النبي ﷺ ؛ بل الحوض موجود الآن

ويدل على هذا حديث أبي هريرة في الصحيحين: «**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي**».

ومن ذلك أيضا حديث ابن عمر في الصحيحين مرفوعا : «**أمامكم حوضي كما بين جرباء وأذرُح**».

والقريتان جرباء وأذرح في الشام المسافة بينهما مسيرة ثلاث ليال.

بعض الأحاديث الواردة في صفات الحوض :

حديث عبدالله بن عمرو بن العاص في الصحيحين مرفوعا: «**حوضي مسيرة شهر ، ماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه لا يظمأ أبدا**» وفي رواية: «**حوضي مسيرة شهر ، وزواياه سواء ، وماؤه أبيض من الوَرِق**».

وفي الصحيحين عن أنس مرفوعا: «**إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء**».

وفي مسلم عن أبي ذر مرفوعا: قلت يا رسول الله ما آنية الحوض؟ قال: «**والذي نفسي بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في ليلة مظلمة مُصحية من آنية الجنة من شرب شربة منها لم يظمأ آخر ما عليه عرضه مثل طوله ما بين عمان إلى أيلة، ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل**».

وفي مسلم عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: «**إني لبعقر حوضي أذود الناس لأهل اليمن ، أضرب بعصاي حتى يرفض عليهم**» ، فسئل عن عرضه ؟ فقال: «**من مقامي إلى عمّان**» ، وسئل عن شرابه؟ فقال: «**أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل ، يغُتّ فيه ميزابان يمدّانه من الجنة ، أحدهما من ذهب والآخر من ورق**».

وعند البخاري عن أنس مرفوعا: «**بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف ، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك ، فإذا طيبه- أوطينه- مسك أذفر**» شك هُدبة(الراوي).

وعند أحمد عن يزيد بن الأخنس قال: يا رسول الله فما سعة حوضك؟ قال: «**ما بين عدن إلى عمان ،وإن فيه مثعبين من ذهب وفضة**» ، قال: فما ماء حوضك يا نبي الله؟ قال: «**أشد بياضا من اللبن وأحلى مذاقه من العسل وأطيب رائحة من المسك من شرب منه لم يظمأ أبدا ، ولم يسودّ وجهه أبدا**». والحديث صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

ومما سبق يتلخص لنا من صفات الحوض الواردة في السنة ما يلي :

- أنه حوض عظيم طوله شهر وعرضه شهر .

- أن آنيته من ذهب وفضة.

- فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء.

- ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل.

- أطيب من ريح المسك.

- من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا.

نسأل الله من فضله.(١)

- **بعض المسائل المتعلقة بالحوض :**

أولا : هل الحوض قبل الصراط؟

الراجح من أقوال أهل العلم أنه قبل الصراط ويدل على هذا حديث أبي هريرة في البخاري أن النبي ﷺ قال: «**بينا أنا قائم على الحوض إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال لهم: هلم. قلت: إلى أين ؟ ، قال: إلى النار والله. قلت: ماشأنهم؟ ، فقال: إنهم قد ارتدوا على أدبارهم القهقرى....**»الحديث.

قال القرطبي في التذكرة: (فهذا الحديث مع صحته أدل دليل على أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط ، لأن الصراط إنما هو جسر على جهنم ممدود يجاز عليه ، فمن جازه سلم من النار)اهـ

ثانيا : أول من يرد الحوض :

جاء عند الترمذي وابن ماجة عن ثوبان مرفوعا: «**إن حوضي ما بين عدن إلى أيلة أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل أكاويبه كعدد نجوم السماء من شرب منه لم يظمأ بعدها أبدا وأول من يرد على الحوض فقراء المهاجرين : الدنس ثيابا الشعث**

---

(١) مجموع الفتاوى(٣/ ١٤٦)

رؤوسا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد قال: فبكى عمر حتى ابتلت لحيته... »الحديث.

والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

ثالثا : من يطرد عن الحوض والعياذ بالله :

جاء في الصحيحين عن أسماء أن النبي ﷺ قال: «**إني على الحوض أنظر من يرد علي منكم ، وسيؤخذ ناس دوني فأقول: مني ومن أمتي ، فيقال: أما شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم**».

وفي البخاري عن أنس مرفوعا: «**ليردن علي ناس من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني ، فأقول : أصحابي ، فيقال لي: لا تدري ما أحدثوا بعدك**».

وكذا في البخاري عن أبي هريرة وفيه: «**إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى**».

قال القرطبي في التذكرة(٧١١) : (فكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه مالا يرضاه الله ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه وأشدهم طردا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم كالخوارج على اختلاف فرقها والروافض على تباين ضلالها ، والمعتزلة على أصناف أهوائها ، فهؤلاء كلهم مبدلون...

وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وتطميس الحق وقتل أهله واذلالهم والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي... وجميع أهل الزيغ والأهواء والبدع)اهـ

رابعا : لكل نبي حوض :

جاء عند ابن أبي عاصم عن سمرة مرفوعا: «**إن لكل نبي حوضا ، وانهم يتباهون أيهم أكثر وارده وإني أرجو أن أكون أكثرهم وارده**» صححه الألباني في صحيح الجامع.

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية : (وقد ورد في أحاديث أن لكل نبي حوضا ، وأن حوض نبينا محمد ﷺ أعظمها وأحلاها وأكثرها واردا)اهـ

والصحيح: أن الحديث ضعيف والعلماء يذكرون الحوض من خصائص النبي ﷺ فيقولون صاحب الحوض والشفاعة، وهو من مراسيل الحسن البصري وهي: من أضعف المراسيل.

قال الترمذي بعد حديث رقم(٢٤٤٣): هذا حديث غريب، وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلاً، ولم يذكر فيه عن سمرة، وهو أصح.اهـ

خامسا : الحوض يرده الرجال والنساء من المؤمنين ، ويطرد من غَيّر وبدّل في دين الله رجلا كان أو امرأة.

ويقال لهم كما في البخاري: «**سحقا سحقا لمن غير بعدي**» ، قال ابن عباس: سحقا: بعدا ، يقال:(سحيق): بعيد ، سحقه وأسحقه: أبعده.

(أرجو بأني منه ريا أنهل) : الرجاء : تأمل الخير وقرب وقوعه.

قال ابن القيم في مدارج السالكين: (الرجاء هو النظر إلى سعة رحمة الله وقيل: هو الاستبشار بجود وفضل الرب تبارك وتعالى)اهـ

فإن كان مع تأمل الخير جد وعمل فهو رجاء وحسن ظن بالله ، وإن كان بدون عمل ومع الكسل فهو تمن وغرور والعياذ بالله.

وقوله(ريّا) : الريّان ضد العطشان.

وقوله(أنهلُ): أشرب.

نسأل الله من فضله.

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٢- وكذَا الصّراطُ يُمدّ فوقَ جهنّمٍ فَمُسَـلّمٌ نـاجٍ وآخَـر مُهْمَـلُ

الشَّرْحُ

(وكذا) : أي وكإقراري بالميزان أقر ب.

(الصراط) : أنه حق ثابت للأدلة الواردة فيه.

(يُمَدّ): أي يُنْصَب.

(فوق جهنم): أي على ظهر جهنم أعاذنا الله منها.

والصراط في اللغة: الطريق الواضح.

وفي الشرع : جسر ممدود على جهنم يمر عليه الناس على قدر أعمالهم فناجٍ مُسَلّم ، ومخدوش مُرْسَل ، ومكدوس في نار جهنم والعياذ بالله منها.

و الصراط حق ثابت بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

ومن الأدلة على ذلك :

قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾[مريم:٧١-٧٢]

ومن السنة ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال أناس: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ ، قال: «**هل تضارون في الشمس ليس دونها**

سحاب؟» ، قالوا: لا يا رسول الله ، قال: «**هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟**» ، قالوا: لا يا رسول الله ، قال: «**فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك ، يجمع الله الناس فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبعه ، فيتبع من كان يعبد الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت ، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها ، فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون فيقول: أنا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك ، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا أتانا ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون فيقول: أنا ربكم ،**

فيقولون: أنت ربنا ، فيتبعونه ، ويضرب جسر جهنم» ، قال رسول الله ﷺ: «**فأكون أول من يجيز ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم ، وبه كلاليب مثل شوك السعدان ، أما رأيتم شوك السعدان ؟**» قالوا: بلى يا رسول الله ، قال: «**فإنها مثل شوك السعدان غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله ، فتخطف الناس بأعمالهم ، منهم الموبق بعمله ، ومنهم المخردل ، ثم ينجو ...**»الحديث.

وفي مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أن ناسا في زمن النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله ! هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «**نعم**» ، قال: «**هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب ؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب؟** » قالوا: لا يا رسول الله ، قال:

«ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما ، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن : ليتبع كل أمة ما كانت تعبد ، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب ، إلا يتساقطون في النار ، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغُبّر أهل الكتاب ، فيدعى اليهود ، فيقال لهم: ماكنتم تعبدون؟ ، قالوا: كنا نعبد عزيرا ابن الله ، فيقال: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فماذا تبغون ؟ قالوا: عطشنا يا رب فاسقنا ، فيشار إليهم : ألا تردون ؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا ، فيتساقطون في النار.

ثم يدعى النصارى ، فيقال لهم: ماكنتم تعبدون؟ ، قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله ، فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فماذا تبغون؟ ، قالوا: عطشنا يا رب فاسقنا ، فيشار إليهم: ألا تردون؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا ، فيتساقطون في النار ، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر ، أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها ، قال: فماذا تنتظرون ؟تتبع كل أمة ما كانت تعبد ، قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ماكنا إليهم ولم نصاحبهم ، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، لا نشرك بالله شيئا-مرتين أو ثلاثا- حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب ، فيقول: هل

بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم. فيكشف عن ساق ، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة ، كلما أراد أن يسجد خرّ على قفاه ، ثم يرفعون رؤوسهم ، وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة . فقال: أنا ربكم ، فيقولون: أنت ربنا ، ثم يضرب الجسر على جهنم ، وتحل الشفاعة ، ويقولون: اللهم! سلّم سلّم» ، قيل: يا رسول الله! وما الجسر؟ قال: «**دَحْض مَزَلّة ، فيها خطاطيف وكلاليب وحسك ، تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان ، فيمر المؤمنون كطرف العين ، وكالبرق ، وكالريح ، وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب ، فناج مسلم ، ومخدوش مرسل ، ومكدوس في نار جهنم...**»الحديث.

صفة الصراط والمرور عليه :

جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : قلنا : يا رسول الله وما الجسر؟ قال: «**دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان**».

ومعنى (دحض مزلة): أي موضع تزل فيه الأقدام ولا تستقر.

وفي الصحيحين أيضا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: « **وبه كلاليب مثل شوك السعدان أما رأيتم شوك السعدان؟** » قالوا: بلى يا رسول الله قال: « **فإنها مثل شوك السعدان، غير أن لا يعلم قدر عظمها إلا الله** ».

قال العيني في عمدة القاري(٢٠/ ٣١٦): (كلاليب جمع كلوب بفتح الكاف وهو حديدة معطوفة الرأس يعلق عليها اللحم. وقيل: الكلوب الذي يتناول به الحداد الحديد من النار. كذا في كتاب ابن بطال)اهـ

وقال رحمه الله: (خطاطيف: جمع خطاف بالضم وهو الحديدة المعوجة كالكلوب يختطف بها الشيء.

وقوله: حسكة: بفتحات وهي شوكة صلبة معروفة وقال صاحب التهذيب. الحسك نبات له ثمر خشن يتعلق بأصواف الغنم، وربما اتخذ مثله من حديد وهو من آلات الحرب.

مفلطحة: أي عريضة.

عقيفاء: معوجة)اهـ

وقوله (مثل شوك السعدان) : قال الحافظ في الفتح(١١/ ٤٥٣) : (جمع سعدانة وهو نبات ذو شوك يضرب به المثل في طيب مرعاه قالوا: مرعى ولا كالسعدان.

وقوله: أما رأيتم شوك السعدان: هو استفهام تقرير لاستحضار الصورة المذكورة)اهـ

وجاء عن أبي سعيد رضي الله عنه عند مسلم أنه قال في وصف الصراط: (بلغني أن الجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف).

وصح عن ابن مسعود موقوفا: (والصراط كحد السيف دحض مزلة...)

أخرجه الطبراني في الكبير والآجري في(تصديق النظر إلى الله في الآخرة)

وصححه الألباني في الصحيحة.

وصح عن سلمان موقوفا: (... ويوضع الصراط مثل حد الموسى) أخرجه الحاكم وصححه الألباني موقوفا في الصحيحة.

والناس بعد الخروج من الموقف يخرجون إلى ظلمة لحديث ثوبان عند مسلم: أن حبرا من أحبار اليهود سأل الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ؟ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**هم في الظلمة دون الجسر**».

ثم بعد تلك الظلمة يكون العبور على الصراط ، وتتفاوت سرعة العباد في المرور ؛ فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم كالبرق ومنهم كالريح ومنهم كالطير ومنهم دون ذلك .

ويدل على هذا حديث أبي سعيد في الصحيحين وفيه :« **فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلّم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم**».

و يعطي الله كل إنسان نوراً على قدر عمله يتبعه على الصراط كما في حديث جابر عند مسلم وفيه : «**ويعطى كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نوراً. ثم يتبعونه وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله**».

وفي حديث ابن مسعود الطويل أن النبي ﷺ قال : «**فيعطون نورهم على قدر أعمالهم وقال: فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يعطى نوره فوق ذلك، ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطى نوره دون ذلك بيمينه، حتى يكون آخر من يعطي نوره على إبهام قدمه، يضيء مرة، ويطفأ مرة إذا أضاء قدم قدمه، وإذا أطفئ قام**» ، والحديث أخرجه الحاكم وغيره وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

ثم بعد العبور على الصراط يحبس المؤمنون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض في المظالم لحديث أبي سعيد في البخاري قال قال رسول الله ﷺ: «**يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هُذبوا ونقوا أذن لهم في**

دخول الجنة فو الذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا».

- وأول من يعبر الصراط محمد ﷺ لحديث أبي هريرة في الصحيحين وفيه: «**ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سلّم سلّم**»

ويحمل الحديث على أن أول من يجيز محمد ﷺ ، ثم الأنبياء ، ويدل على هذا أنهم يقفون يقولون: «**اللهم سلّم سلّم**» ، ثم أمة محمد ﷺ ، والله أعلم.

- والصراط بعد الحوض وبعد الميزان.

- والذين أنكروا الصراط المعتزلة ومن سار على نهجهم الباطل .

(فمسلّم ناج) : مُسلّم : بتشديد اللام ؛ أي : من الناس من سلمه الله ونجا من مزلة الصراط.

(وآخر مهمل) : أي والنوع الآخر مهمل مكردس في النار والعياذ بالله.

أشار الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا البيت إلى حديث أبي سعيد في الصحيحين المتقدم وفيه : «**فناج مسلّم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم**».

وفي لفظ : «**ومكردس في النار**».

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٣- والنّارُ يَصْلاها الشّـقيّ بِحِكْمَـةٍ وكـذا التّقـيّ إلى الجِنَـانِ سَـيَدخُلُ

الشَّرْحُ

(والنار) : نعوذ بالله منها وهي دار البوار ومقر الكفار.

(يصلاها): أي النار، الصلي: الإحاطة أي: تحيط هم كما قال تعالى ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ [الأعراف: ٤١].

(الشقي): وهو الذي كتبت عليه الشقاوة ، وهو في بطن أمه.

(بحكمة): أي بحكمة أحكم الحاكمين.

(وكذا التقي): أي الذي جمع معاني التقوى.

وحقيقة التقوى اتباع الأوامر واجتناب المناهي ، وهي طاعة الله ورسوله بفعل ما أمر به وترك مانهى عنه.

ومن جمع معاني التقوى فهو **(إلى الجنان)** المعدة للمتقين.

(سيدخل) : إليها-أي الجنة- برحمة أرحم الراحمين.

وكل من الجنة والنار حق ثابت بالكتاب والسنة والإجماع ، وكل ماهو كذلك فالإيمان به واجب ، واعتقاده حق لازم ، والمراد من الجنة دار الثواب ومن النار دار العقاب.

من الأدلة في كتاب الله :

قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾..﴾ [ق: الآيات ٣١-٣٥].

وقوله تعالى:﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا...﴾ [الزمر: الآيات٧٣-٧٤].

وقوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾...﴾ [الزخرف: الآيات٧٢-٧٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزخرف:٧٤-٧٥].

وقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا..﴾ [الزمر: الآية٧١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾..﴾ [النبأ: الآيات٢١-٣٠].

وغيرها من الأدلة.

وفي السنة قد تواترت الأدلة عن النبي ﷺ في هذا.

ففي الصحيحين عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل**

الجنة، وإن كان من أهل النار يقال: هذا مقعدك من النار حتى يبعثك الله يوم القيامة».

وفي الصحيحين في حديث الإسراء قال: «**ثم أدخلت الجنة ، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك**».

والجنابذ : هي القباب.

وفي البخاري عن أنس مرفوعا: «**بينا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف ، قال: قلت ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك**».

وفي مسلم في حديث صلاة الكسوف أن النبي ﷺ جعل يتقدم ويتأخر في الصلاة ثم أقبل على أصحابه فقال: «**إنه عرضت علي الجنة والنار فقربت مني حتى لو تناولت منها قطفا فأخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا**».

وفي البخاري عن سهل عن النبي ﷺ قال: «**إن أهل الجنة ليتراءون الغرف في الجنة كما تتراءون الكوكب في السماء**».

وفي الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعا: «**قال الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين -يعني في الجنة- مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، اقرأوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾** ».

والأدلة في ذكر الجنة ووصفها وما أعد الله للمتقين فيها كثيرة نكتفي بما سبق ونسأل الله من فضله.

وأما النار فالأدلة كثيرة منها ما جاء في الصحيحين عن عدي بن حاتم أن النبي ﷺ ذكر النار فأشاح بوجهه فتعوذ منها ، ثم ذكر النار فأشاح بوجهه فتعوذ منها، ثم قال: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة**».

وفي حديث النعمان بن بشير في الصحيحين قال سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة لرجل توضع في أخمص قدميه جمرة يغلي منها دماغه**».وفي رواية «**جمرتان**».

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري أنه سمع النبي ﷺ وذُكِر عنده عمه أبو طالب فقال: «**لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه أم دماغه**».

قلت: لا شفاعة لكافر إلا شفاعة النبي ﷺ لعمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه ، وهذه شفاعة خاصة لدفاعه عن رسول الله ﷺ ونصرته له وإلا فهو مات على الكفر ، و قد أخبر الله أن الكافرين لا تنفعهم شفاعة الشافعين قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[غافر: ١٨].

والأدلة في ذكر النار أعاذنا الله منها كثيرة نكتفي بهذا.

وقد أجمعت الأمة على أن الجنة حق والنار حق وأنهما مخلوقتان.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ كما في مجموع الفتاوى(١٨/ ٣٠٦) : (وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية، كالجنة والنار والعرش)اهـ

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في حادي الأرواح(٣١٤) : (الذي يدل عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه السلف ؛ أن الجنة والنار مخلوقتان)اهـ

وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ في التمهيد(٢/ ٢١٦): (قال أهل السنة: إن الجنة والنار مخلوقتان وأنهما لا تبيدان)اهـ

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ :

١٤- ولكلّ حَيٍّ عاقـلٍ في قَـبـــرِهِ عمــلٌ يُقارِنُــهُ هنــاك ويُسْــأَلُ

الشَّرْحُ

(ولكل حي): أي مكلف في قبره.

(عمل): أي عمل صالح أوضده.

(يقارنه): أي يجده عنده من خير أو شر.

(هناك): أي في قبره، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي قال: « **يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ، يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ**» متفق عليه.

(ويُسأَلُ): كأن الناظم يشير إلى حديث البراء بن عازب الطويل المشهور وفيه: «**فيأتيه ملكان..**» الحديث.

والإيمان بعذاب القبر ونعيمه واجب شرعا لثبوته عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في عدة أحاديث يبلغ مجموعها حد التواتر.

ومن الأدلة على هذا مايلي:

قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾[غافر: ٤٦].

وقوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾[إبراهيم: ٢٧].

وفي الصحيحين من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ لما نزلت قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] قال:« **نزلت في عذاب القبر** » ، زاد مسلم: «**فيقال له: من ربك؟ فيقول-يعني المؤمن- الله ربي ، ونبيي محمد فذاك قوله:** ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] » .

وفي رواية للبخاري: « **إذا أقعد المؤمن في قبره ثم شهد أن لاإله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، فذلك قوله:** ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] ».

وعند أبي دود : « **يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول-يعني المؤمن- ربي الله ، فيقولان له: مادينك؟ فيقول: ديني الإسلام ، فيقولان له: ومايدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله تعالى فآمنت به وصدقت ، فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فافرشوا له من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة وألبسوه من الجنة ويفسح له في قبره مد بصره ، وقال في الكافر ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول :هاه هاه لاأدري ...**»الحديث

وفيه: «**فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي فافرشوا له من النار ، وافتحوا له بابا إلى النار ، فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه**».

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يدعو: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر**»

وفي مسلم عن أبي سعيد عن زيد بن ثابت مرفوعا: «**إن هذه الأمة تبتلى في قبورها ، فلولا أن لا تدافنوا ، لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه** » ثم أقبل علينا بوجهه فقال: «**تعوذوا بالله من عذاب النار**» ، فقالوا: نعوذ بالله من عذاب النار ، فقال: «**تعوذوا بالله من عذاب القبر**» ، **فقالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر..**»الحديث.

وغيرها من الأدلة الثابتة في ذكر عذاب القبر ونعيمه ، وقد ذكر السيوطي أن أحاديثه بلغت حد التواتر.

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٥- هذا اعتِقَادُ الشّافِعيّ ومَـالِـكٍ وأبي حَنِيفَـةَ ثُـمّ أَحْمَـدَ يُنْقَـلُ

١٦- فإِنِ اتّبَـعْتَ سبيلَـهُم فَمُوفّـقٌ وإنِ ابتَـدعتَ فـمَا عَلَيـكَ مُعَـوّلُ

الشَّرْحُ

(هذا) : الذي ذكرته بنظمي واعتقدته بقلبي من أمهات مسائل الاعتقاد ، هو **(اعتقاد)**

الإمام محمد بن إدريس **(الشافعي)** أبوعبدالله قرشي مطلبي ، واعتقاد إمام دار الهجرة **(مالك)** بن أنس الأصبحي أصله من اليمن ، **(وأبو حنيفة)** النعمان بن ثابت الكوفي[1] ، **(ثم أحمد)** هو أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني أبو عبدالله إمام أهل السنة وقامع البدعة ، ولكلهم تراجم مستقلة رحمهم الله جميعا.

(**يُنْقَلُ)** بضم الياء إشارة إلى ما نقله عنهم أئمة النقل الذين دونوا مذاهب السلف رحمهم الله.

(**فإن اتبعت)** أيها الأثري ، **(سبيلهم)** طريقهم القويم ومنهجهم المستقيم .

والسبيل: الطريق الواضح وهي المحجة البيضاء التي لايزيغ عنها إلا هالك لحديث : « **قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها بعدي إلا**

---

(١) مع أنه يخالف أهل السنة في مسائل لكن ليس منها ما ذكر؛ إلا ما ذكر أنه يقول بخلق القرآن وتاب من ذلك.

هالك...» الحديث أخرجه أحمد وابن ماجة من حديث العرباض بن سارية وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

فإنك إن اتبعت سبيل الصحابة والتابعين ومن بعدهم كالأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة الهدى فاعتقدت ما اعتقدوه وأسست قواعد مذهبك على ما حرروه ، فأنت بذلك الإتباع على منهاج السنة النبوية متمسكا بالعقيدة السلفية المحمودة المرضية.

(**فموفق**) للإقتداء بالكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة.

(**وإن ابتدعت**)**:** أي أبيت الإتباع فابتدعت ، فأولت الاستواء بالاستيلاء ، والنزول بنزول أمره ورحمته ، وجعلت كلام الله عبارة أو حكاية عنه ، وأولت صفة اليدين بالنعمة ونحو ذلك من صفاته جل وعلا ، ولم تسلك سبيل الإقرار والإمرار ، وخرقت بذلك إجماع السلف الصالح الأخيار ، ونبذت الكتاب والسنة والآثار ، ورغبت بجهلك عن عقيدة السلف ، ورضيت بما زخرفه لك الخلف ، (**فما عليك**) بذلك ، (**معول**) بما اعتقدته لأنك أبيت الاتباع ، ودنت بالابتداع ، وخرقت الإجماع ، ورضيت لنفسك بالمراء والجدال والنزاع ، فنودي عليك بالمكابرة والابتداع.[1]

---

(١) اللآلئ البهية للمرداوي(١٨٤)

تنبيه : ليس المقصود في قوله(**فإن اتبعت سبيلهم**) التقليد ، فالتقليد في دين الله لا يجوز ، إذ التقليد هو اتباع من ليس بحجة بغير حجة، وإنما المراد اتباع ما دل عليه الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وكذا ما أجمع عليه السلف الصالح.

وبهذا انتهى ما أردنا التعليق عليه من هذا النظم المبارك في عقيدة أهل السنة والجماعة ، أسأل الله أن ينفع بهذا الشرح ويجعله خالصا لوجهه الكريم صوابا ، والحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الفهرس

مقدمة الشيخ الفاضل عبد الحميد الحجوري الزعكري حفظه الله.....	٥
المقدمة.....	٦
ترجمة موجزة لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.....	١١
متن اللامية المنسوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى.....	١٦
١- يَا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي وعَقِيدَتِي / رُزِقَ الْهُدى مَنْ لِلْهِدَايَةِ يَسْأَلُ	١٧
٢- اِسْمَعْ كَلَامَ مُحَقِّقٍ فِي قَوْلِهِ / لا يَنْثَنِي عَنْهُ ولَا يَتَبَدَّلُ	
٣- حُبّ الصّحَابَةِ كُلِّهِم لِي مَذهبٌ / ومَودَةُ القُرْبى بِهَا أَتَوَسّلُ	
٤- ولِكُلِّهِمْ قَدْرٌ عَلَا وفضَائِلُ / لَكِنّمَا الصِّدِّيقُ مِنْهُم أفْضَلُ	٣٦
٥- وأَقُولُ فِي القُرْآنِ مَا جَاءَتْ بِهِ / آيَاتُهُ فَهُو الكَرِيْمُ المُنْزَلُ	٤٣
٦- وأقُولُ قَالَ اللهُ جَلّ جَلالُهُ / والمُصْطَفَى الهَادِي ولَا أَتَأَوّلُ	٥١
٧- وَجَمِيْعُ آيَاتِ الصِّفَاتِ أَمِرّها / حَقَاً كَمَا نَقَلَ الطِّرَازُ الأَوّلُ	٥٨
٨- وأَرُدّ عُهدَتَهَا إِلَى نُقّالِهَا / وأَصُونُها عَنْ كُلِّ ما يُتَخَيّلُ	
٩- قُبْحَاً لِمَنْ نَبَذَ الْقُرَانَ وَرَاءَهُ / وإِذَا اسْتَدَلّ يَقُولُ قَالَ الأَخْطَلُ	٦٤
١٠- والمؤمِنونَ يَرَونَ حقّاً ربّهُم / وإلى السّماءِ بِغيرِ كَيفٍ يَنْزِلُ	٧١
١١- وأُقِرّ المِيزَانِ والحوضِ الذي / أَرجُو بِأَنّي مِنْهُ رِيّاً أَنْهَلُ	٨٢
١٢- وكذَا الصّراطُ يُمدّ فوقَ جهنّمٍ / فَمُسَلّمٌ نَاجٍ وآخَر مُهْمَلُ	١٠٠

١٣- والنّـارُ يَصْـلاها الشّـقيّ بِحِكْمَـةٍ		وكذا التّقيّ إلى الجِنَـانِ سَـيَدخُلُ	١٠٨
١٤- ولكلّ حَيٍّ عاقـلٍ في قَـبـرِهِ		عمـلٌ يُقارِنُـهُ هنـاك ويُسْـأَلُ	١١٣
١٥- هذا اعتِقَـادُ الشّـافِعيّ ومَـالـكٍ		وأبي حَنِيفَـةَ ثُـمّ أحْمَـدَ يُنْقَـلُ	١١٦
١٦- فإِنِ اتّبَـعْتَ سبيلَـهُم فَمُوفّـقٌ		وإنِ ابتَدعتَ فـمَا عَلَيـكَ مُعَـوّلُ	
الفهرس.....			١١٩